تفسير سورة الفلق

دراسة تحليلية

د. زهرة شعبان سعيد المازني

الأستاذ المساعد بقسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين،

جامعة أم القرى

مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

تفسير سورة الفلق – دراسة تحليلية

د. زهرة شعبان سعيد المازني

جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة

مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

الملخص:

من أهداف هذا البحث تفسير سورة الفلق تفسيرًا تحليليًّا، بعرض الأقوال والجمع بينها إن أمكن، أو الترجيح، وجمع الأحاديث النبوية التي يستفاد منها في بيان فضل سورة الفلق، وعِظَمها. وقد اعتمد البحثُ على المنهجِ الاستقرائي، والمنهج التحليلي، واشتمل على مقدمة ومبحثين وخاتمة. جاء المبحث الأول مشتملًا على مقدمات مهمة شملت توضيح مكية السورة ومدنيتها، وبيان أسمائها وعدد آياتها وما ورد في فضلها، وسبب نزولها، وجاء المبحث الثاني مشتملًا على تفسير سورة الفلق تفسيرًا تحليليًّا. ثم خاتمة البحث التي اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، وكان من أهم النتائج: أن سورة الفلق من أعظم ما تعوَّذ به المتعوذون، وهي رقيةٌ من كل داء بإذن الله تعالى، وهي حُجَّةٌ على من قال إن القرآن من عند محمد ابتدأه، وأن الأمر بالاستعاذة في هذه السورة مصروفٌ إلى الاستحباب، لا الوجوب، وأن في السورة ردًّا على من أنكر حقيقة السحر وتأثيره، كالمعتزلة ومن سار في دربهم كأصحاب المدرسة العقلية؛ إذ جاء فيها أمر الله بالاستعاذة من شره، ولا يستعاذ إلا من شر حقيقي لا تخيلي.

الكلمات المفتاحية: سورة الفلق، التفسير، حاسد، غاسق، النفاثات في العُقَد.

Explication of Surah Al-Falaq - Analytical study

By

Dr: Zuhra Sha'ban Saeed Al Mazni

Umm Al-Qura University - College of Da`wah and Fundamentals of Religion - Department of Qur'an and Sunnah

Makkah - Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

The objectives of this research include providing an analytical explication of Surah Al-Falaq, by presenting the different opinions and reconciling them if possible, or making a preference among them. It also involves gathering the prophetic traditions (hadiths) that highlight the virtue and greatness of Surah Al-Falaq.

The research adopted the inductive method and the analytical method and included an introduction, two sections, and a conclusion. The first section covered important premises, including clarifying whether the Surah is Makki or Madani, explaining its names and the number of its verses, what has been reported about its virtues, and the reason for its revelation. The second section included an analytical explication of Surah Al-Falaq. The conclusion of the research included the most important findings and recommendations. Among the most significant findings: Surah Al-Falaq is one of the greatest sources of protection sought by those seeking refuge, and it is a form of ruqyah (spiritual healing) for all ailments, God willing. It also serves as evidence against those who claim that the Qur'an is authored by Muhammad, as the command to seek refuge in this Surah is directed towards preference, not obligation. Furthermore, the Surah refutes those who deny the reality and effects of magic, such as the Mu'tazila and others who follow their path, like the proponents of the rationalist school, as the Surah includes God's command to seek refuge from its evil, and one seeks refuge only from a real, not imaginary, evil.

Keywords: Surah Al-Falaq, Tafsir (explication), Envier, Darkness, malignant witchcraft.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن

محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فإن الاشتغال بالقرآن الكريم، وما يتعلق به من: تفسير وبيان لجمله وفهم لمعناه وأسباب نزوله، والذب عنه ورد ما لا يصح في تفسيره إلى غير ذلك: خير ما شغل به الوقت، وأفضل ما يسعى إليه في العمر، وأشرف ما يتحصل عليه ؛ إذ هو اشتغال بكلام رب العالمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا

يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]

وقد جاء هذا البحث في تفسير سورة الفلق، وقد أسميته بـ(**تفسير سورة الفلق – دراسة تحليلية**).

أسباب اختيار الموضوع:

واخترت الكتابة في تفسير هذه السورة لعدة أسباب؛ منها:

١- عِظَم هذه السور القليلة المبنى العظيمة المعنى.

٢- لما اشتملت عليه من أمور ابتلي بها عامة الناس من سحر وحسد وعين؛ فكانت الحاجة ملحة لبيانها وتقريب معانيها.

٣- أن تفضيل التعوذ بهذه السورة يتطلَّب منا الوقوف على سر تفضيلها.

٤- أن تفسير هذه السورة العظيمة مجالٌ خصب للتفسير التحليلي؛ لما اشتملت عليه من أقوال متعددة للمفسرين في بيان المراد من ألفاظها.

٥- ما قررته السورة من إثبات السِّحر وأن له حقيقة يستعاذ منه؛ وفي ذلك رد على منكري السحر والجان كالمعتزلة وأصحاب المدرسة العقلية.

أهداف البحث:

١- تفسير سورة الفلق تفسيرًا تحليليًّا، بعرض الأقوال والجمع بينها إن أمكن، أو الترجيح.

٢- جمع الأحاديث النبوية التي يستفاد منها في بيان فضل سورة الفلق، وعِظَمها.

٣- كشف الغطاء عن معاني ألفاظ سورة الفلق، وبيان أحكامها، ولطائفها البيانية.

منهج البحث:

سلكتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، بيانها كما يلي:

المقدمة: وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: مقدمات مهمة بين يدي السورة، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: مكية السورة ومدنيتها.

المطلب الثاني: أسماء السورة وعدد آياتها.

المطلب الثالث: ما ورد في فضل سورة الفلق.

المطلب الرابع: سبب نزول السورة.

المبحث الثاني: تفسير السورة تفسيرًا تحليليًّا، وتحته تمهيد ومطلبان:

التمهيد: أهمية السورة.

المطلب الأول: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١].

المطلب الثاني: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٢-٥].

- **الخاتمة:** وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات.

عود على بدء:

فهذه محاولة مني لتفسير سورة الفلق تفسيرًا تحليليًّا، والترجيح بين الأقوال المختلفة فيها، وإبراز لجملة من أحكامها العقدية، التي كتبتها لنفسي أولًا ثم لعموم المسلمين.

سائلة الله أن يستر عوراتي، ويغفر زلاتي، وأن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

المبحث الأول

مقدمات مهمة بين يدي سورة الفلق

المطلب الأول: مكية السورة ومدنيتها:

إن من أشرف علوم القرآن؛ علم نزوله وجهاته، فهو يعين المفسر على معرفة الناسخ والمنسوخ[١]، وتخصيص العام عند من يرى تأخير المخصص[٢] والاستعانة به في تفسير القرآن[٣].

وهو يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم، غير أنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول، ولا ورد عنه أنه قال: اعلموا أن قدر ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا وفصله هم، ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر، فلم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي والمدني مما لا يسوغ الجهل به، لم تتوفر الدواعي على إخبارهم به ومواصلة ذكره على أسماعهم وأخذهم بمعرفته، وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني وأن يعملوا في القول بذلك ضربًا من الرأي والاجتهاد[٤].

تحديد زمن نزول سورة الفلق:

اختلف المفسرون[٥] في مكية سورة الفلق أو مدنيتها، فمنهم من قال بأنها مكية نزلت قبل الهجرة، ومنهم من قال بأنها مدنية نزلت بعد الهجرة.

---

(١) البرهان للزركشي (١/١٨٧)

(٢) الإتقان للسيوطي (١/٢٧)

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (٥٩-٦٠)

(٤) انظر: البرهان للزركشي (١/١٩١-١٩٢)

(٥) فائدة: بعض المفسرين حكى الخلاف ولم يتعرض لترجيح مثل: ابن سلامة المقري في الناسخ والمنسوخ (٢٠٨)، والماوردي في النكت والعيون (٦/٣٧٣٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز

قال هبة الله بن سلامة المقري المفسر (ت ٤١٠هـ) -رحمه الله-: "سورة الفلق نزلت بالمدينة، وقيل: بمكة، والله أعلم. جميعها محكم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ"(١).

وقال ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٧هـ): "سورة الإخلاص، والفلق، والناس: اختلف المفسرون في تنزيلهن فقال بعضهم: هي مدنيات. وقال الضحاك والسدي: هن مكيات. وكلهن محكم ليس فيهن ناسخ ولا منسوخ والله أعلم"(٢).

وفيما يلي عرضٌ للقولين وأدلتهم:

أ- من قال إن سورة الفلق مكية:

روي هذا القول عن ابن عباس(٣) ، وجابر بن زيد(٤)، وعكرمة والحسن بن أبي الحسن(١)، وعلي بن أبي طلحة(٢)، وقتادة(٣)، وعن الزهري(٤).

=

(٦٠٧/١٥)، والنسفي في مدارك التنزيل (٦١/٤)، والشوكاني في فتح القدير (٥٧٩/٤) وبعضهم لم يتعرض لزمن نزولها مثل: الإمام الطبري في جامع البيان (٧٤١/٢٤)، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٢٦/٢٠)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (٨١٤)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في دقائق التفسير (٤٩٦/٦)، والعلامة ابن قيم الجوزية في بدائع التفسير (٣٧٤/٥)، وعطية محمد سالم في تتمة أضواء البيان (٣٣٩/٩).

(١) الناسخ والمنسوخ (٢٠٨).

(٢) الناسخ والمنسوخ (٦٧)، وكذا عدها أبو الحسن بن الحصار في كتابه (الناسخ والمنسوخ) من السور المختلف في مكيتها ومدنيتها كما في الإتقان للسيوطي (٣٣/١-٣٤).

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢١)، من رواية عطاء عنه. وإسناده شديد الضعف؛ فيه عمر بن هارون البلخي، قال عمه الحافظ في تقريب التهذيب (٤١٧رقم ٤٩٧٩): "متروك وكان حافظًا.

(٤) أخرجه أبو عمرو الداني في البيان (١٣٣).

فائدة: رواية ابن عباس وجابر أنا نزلت بعد سورة الفيل، وسورة مكية باتفاق.

وممن رجح كونها مكية من المفسرين: ابن جزي[٥]، والزمخشري[٦]، والثعالبي[٧]، وأبو السعود[٨]، وابن عاشور[٩]، والقاسمي[١٠].

القرائن المرجحة بأن سورة الفلق مكية:

يظهر لي أن من القرائن المرجحة لهذا القول:

=

وممن حكى الاتفاق في مكية الفيل: الزهري ي الناسخ والنسوخ (٢٩-٣٠) وأبو عمرو الداني في البيان (١٣٣)، وابن سلام في فضائل القرآن (٣٦٥)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢١)، وابن سلامة المقري في الناسخ والمنسوخ (٢٠٤)، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ (٦٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) وحكى الاتفاق عامة المفسرين.

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧)، وصحح إسناده محمد شفاعت في المكي والمدني (٦).

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٣٦٥). وصححه الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (٣٩).

(٣) أخرجه أبو بكر الأنباري (٣٣/١- الإتقان للسيوطي). وأبو عمرو الداني في البيان (١٣٣) وصحح إسناده محمد شفاعت في المكي والمدني (٦).

(٤) الناسخ والمنسوخ للزهري (٢٩-٣٠)، وإسناده ضعيف جدًا؛ قاله محمد شفاعت في المكي والمدني (٦).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٨٥٨/٢).

(٦) الكشاف (٤٦٤/٦)، وحكى القول بمدنيتها بصيغة التمريض.

(٧) الجواهر الحسان (٥٣٧/٣).

(٨) في التفسير (٢١٤/٩).

(٩) التحرير والتنوير (٦٢٤/١٥).

(١٠) محاسن التأويل (٤١٥/٧).

١- ورود النقل في ترتيب نزولها بعد سورة الفيل؛ وسورة الفيل مكية باتفاق، ولكن رويت بأسانيد ضعيفة.

٢- صحة الأسانيد إلى بعض القائلين بمكيتها -كما تقدم[١]، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): "والأصح أنها مكية؛ لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة، بخلاف رواية أبي صالح عن ابن عباس ففيها متكلم"[٢].

وما وقفت عليه: أن رواية كريب عن ابن عباس تقول بمدنية سورة الفلق وستأتي[٣]-

وأما الرواية التي تقول بمكية السورة فهي من رواية عطاء عن ابن عباس وهي ضعيفة كما تقدم.

٣- أورد بعض المفسرين في سبب نزولها عدة أقوال ذكرها الرازي في تفسيره، وابن عاشور[٤]؛ ومما قيل في ذلك مما فيه دلالة على مكية السورة:

- أن الله أنزلهما - الفلق والناس- عليه ليكونا رقية من العين، فعن سعيد بن المسيب: (أن قريشًا قالوا: تعالوا نتجوع[٥] فنعين محمدًا ففعلوا، ثم أتوه وقالوا: ما أشد عضدك، وأقوى ظهرك، وأنضر وجهك؛ فأنزل الله تعالى المعوذتين)[٦] واستند بهذا الأثر في القول بمكيتها ابن ابن عاشور.

---

(١) كما تقدم من رواية عكرمة والحسن بن أبي الحسن وقتادة (٨ حاشية ٤).

(٢) التحرير والتنوير (٦٢٥/١٥).

(٣) (١٠ حاشية ١).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٥٣٩/٨)، التحرير والتنوير (٦٢٥/١٥) نقلا عن الرازي.

(٥) لم أقف على معناه في كتب اللغة بما يناسب السياق، والظاهر أن معناه: ينظرون إليه بأعينهم حسدا؛ لإزالة ما عنده من النعم فتصيبه العين.

(٦) لم أقف على من أخرجه من أصحاب الكتب الحديثية. ولم يذكره صاحبا الاستيعاب في بيان الأسباب (٥٨٧/٣-٥٩١) مع أنه على شرطهما.

٤- ومن المرجحات كونها مكية؛ قصر فواصلها، وقوة قوارع آياتها في التعوذ والتحصن[١] قال السخاوي (ت٦٤٣هـ) - رحمه الله-:" وقوارع القرآن الآيات التي يتعوذ بهما ويتحصن سميت بذلك لأنها تقرع الشيطان وتدفعه وتقمعه كآية الكرسي والمعوذتين ونحوها"[٢].

ب- من قال إن سورة الفلق مدنية:

روي هذا القول عن ابن عباس[٣]، وعطاء بن يسار[٤].

وممن رجح كونها مدنية: الإمام البغوي[٥]، وابن الجوزي[٦]، والرازي[٧]، والخازن[١]، وأبو حيان[٢]، والحافظ ابن كثير[٣]، والسيوطي[٤]، والألوسي[٥]. ومحمد الأمين الهرري[٦].

---

(١) وهذا من باب الاجتهاد في المكي والمدني؛ قال الجعبري (١/١٨٩- البرهان للزركشي): " لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي، وقياسي؟ فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي: قال علقمة، عن عبد الله: (كل سورة فيها (يا أيها الناس) فقط، أو كلا، أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين والرعد في وجه، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولى فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية".

(٢) نقله السيوطي في الإتقان (١/١٦٢).

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٧٧٥-٧٧٧) من رواية مجاهد، ورواية كريب عنه. وعلق السيوطي في الاتقان (١/٣٠) على رواية مجاهد عن ابن عباس: "هكذا أخرجه بطوله وإسناده جيد رحاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين".

(٤) أخرجه أبو عمرو الداني في البيان (١٣٣).

(٥) معالم التنزيل (٤/٧٢٣).

(٦) زاد المسير (١٦٠٤).

(٧) التفسير الكبير (٨/٥٣٨).

القرائن المرجحة بأن سورة الفلق مدنية:

يظهر لي من قرائن ذلك:

١- ضعف بعض الطرق إلى القائلين بمكيتها.

٢- أن ما قيل في سبب نزوها قبل الهجرة، غير مسندٍ؛ فلا تقوى على المسند.

٣- أنه ورد في سبب نزولها بعد الهجرة أحاديث ثابتة صححها الألباني رحمه الله- في السلسلة الصحيحة؛ فعن زيد بن أرقم، وأم المؤمنين عائشة، وابن عباس رضي الله عنهما أجمعين: أنها نزلت في قصة سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للرسول صلى الله عليه وسلم، وحاء فيها التصريح (فأتاه جبريل بالمعوذتين) - وسيأتي بيانها عند ذكر سبب نزول السورة- وهذا كان بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم(٧).

٤- أما الترجيح بمكيتها بالنظر لآياتها وفواصلها، فهو من باب الاجتهاد، وهذا الباب غير مطرد، والمسلم به هو النقل، وفي سورة الفلق النقل أقوى؛ والله تعالى أعلم.

الترجيح:

الذي يترجح لي أن السورة نزلت بالمدينة، وذلك لما يلي:

١- صحة النقل الصريح بسبب نزولها بالمدينة؛ يظهر في:

=

(١) لباب التأويل (٣٢٢/٧).

(٢) البحر المحيط (٥٣٢/٨).

(٣) فضائل القرآن (٣٩) ، والتفسير (٥٣٠/٨).

(٤) الإتقان (٤١).

(٥) روح المعاني (٧١١/٣٠).

(٦) الحدائق الروح والريحان (٤٥٢/٣٢).

(٧) انظر: فتح الباري (٢٧٨/١٠).

أ- تعدد طرق الرواية عن الصحابة ر بنزول المعوذتين في قصة سحر لبيد بن الأعصم للرسول صلى الله عليه وسلم، وثبوت ذلك عنهم[1].

ب- أن هذه الروايات جاءت صريحة في السببية، وإذا كان ذلك كذلك فهي مرجحة على غيرها مما قيل في سبب نزول السورة[2].

٢- ومما يرجح أنها مدنية؛ ما ثبت في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين بالدعاء المأثور عنه؛ فعن ابن عباس رضى الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق؛ أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»[3] وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنهقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان وأعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سواهما»[4].

وثبت أن ابن مسعود رضى الله عنهكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ

---

(١) كما نص السيوطي في الإتقان (٩١/١)، قال: "إن ذكر واحدٍ سببًا وآخر سببًا غيره، فإن كان إسناد أحدهما صحيحًا دون الآخر فالصحيح المعتمد".

فائدة: ولعله لصحة قصة لبيد بن الأعصم، ذهب جمهور المفسرين إلى ترجيح كونها مدنية، انظر: تفسير الرازي (٥٣٩/٨).

(٢) كما نص السيوطي في الإتقان (/٩١) قال: "إن عبر بقوله نزلت في كذا وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٣/٦ رقم ٣٣٧١).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٥٤٤/٤ رقم ٣٥١١)، والترمذي في جامعه (١٢١/٨ رقم ٢١٩٨)، وقال: حديث حسن غريب، والنسائي في سننه (٢٠٠/٧ رقم ٧٨٠٤). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (رقم٣٥١١).

الحسن والحسين بهما[1].

ووجه الدلالة: أن الحسن والحسين ولدا بعد الهجرة عام ثلاث، وأربع[2] على التوالي وأما سحر لبيد للرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان بعد رجوع الرسول صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبة عام سبع للهجرة[3].

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين بالدعاء المأثور عنه-كما في حديث ابن عباس، وثبت عنه أيضًا أنه كان يعوذ الحسن والحسين بالمعوذتين كما في حديث ابن مسعود-.

والرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلت المعوذتين أخذ بما في التعوذ وترك ما سواهما كما في حديث أبي سعيد الخدري.

فبالجمع بين الأحاديث لو أن السورة نزلت قبل الهجرة لابتدأ الرسول يل بتعويذ الحسن والحسين بهما، فلما كان يعوذهما بالدعاء المأثور، وقد ولدا بعد الهجرة، وأنه صلى الله عليه وسلم بعد نزول المعوذتين ترك التعوذ بسواهما؛ كل هذه الأدلة تؤكد نزولها بعد الهجرة. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٣٠/٥) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) قال الحافظ في الفتح :(٩٥/٧) " وكان مولد الحسن في رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر وقيل بعد ذلك،.. وكان مولد الحسين في شعبان سنة أربع في قول الأكثر".

(٣) قال الحافظ في الفتح (٢٧٨/١٠): "وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر؛ أخرجه عنه ابن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم مرسل قال: لما رجع رسول الله ^ من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم من سنة سبع جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفًا في بني زريق وكان ساحرًا، فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدًا فلم نصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلًا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير".

المطلب الثاني: أسماء السورة وعدد آياتها:

قد ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، وقد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر؛ من ذلك: الفاتحة، وذلك يدل على شرفها؛ فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى(١).

قال الزركشي: "ينبغي البحث عن تعداد الأسامي؛ هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني؛ فلم يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسماء لها، وهو بعيد"(٢).

وقد ورد في تسمية سورة الفلق عدة أسماء، متضمنة لما اشتملته السورة من معاني، ومما وقفت عليه تسميتها بـ:

١- سورة الفلق: سميت بسورة الفلق؛ لمفتتحها معظم مقصود السورة: الاستعاذة من الشرور، ومن مخافة الليل الديجور، ومن آفات الماكرين والحاسدين(٣). واشتهر هذا الاسم في المصاحف، وكتب المفسرين.

٢- سورة (قل أعوذ برب الفلق): وسميت بذلك لحديث عقبة بن عامر رضى الله عنه، قال: كنت أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟» فعلمني (قل أعوذ

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (١٤).

(٢) البرهان (١/٢٧٠-٢٧١) وانظر: مجاز القرآن (١/٥-٦) لأبي عبيدة.

فائدة: أسماء السور التي اشتهرت بما توقيفية، وما جاء في أسمائها من غير أثر فهي من باب الأوصاف للسورة.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادي (٣٧٥).

برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس)...) الحديث[1].

٣- المعوذة: بالإفراد؛ قال القاضي ابن عطية (ت٥٤٦هـ) -رحمه الله: "تفسير سورة المعوذة الأولى"[2].

- لما ورد في تسميتها مع سورة الناس بـ(المعوذتين)؛ فعن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول لله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ بالمعوذتين فإنك لن تقرا بمثلهما»[3].

- لما ورد في تسميتها مع سورتي (الإخلاص والناس) بـ(المعوذات)؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث...» الحديث[4].

٤- القواقل[1]: لما جاء عن جبير بن الحارث رضى الله عنهأنه قال: حضرت مع رسول الله : الخندق فقال لي: »احفر يا جبير جبرك الله ومتع بك» فقلت: أوصني يا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٤٦/١)، والنسائي في سننه (٢٥٢/٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم١٤٦٢).

فائدة: وقد عنون الإمام البخاري - رحمه الله- في صحيحه؛ ك: التفسير فقال: باب سورة (قل أعوذ برب الفلق) فأضاف السورة إلى أول آية منها.

(٢) المحرر الوجيز (٦٠٧/١٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٤٦/٤)؛ وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ك: التفسير، ب: فضل المعوذات

فائدة: قال الحافظ في الفتح (٧٦/٩): "وذكر سورة الإخلاص معهما تغليبًا لما اشتملت عليه من صفة الرب وإن لم يصرح فيها بلفظ التعويذ، وقد أخرج أصحاب السنن الثلاثة وأحمد وابن خزيمة وابن حبان من حديث عقبة ابن عامر قال: "قال لي رسول الله ^ (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) تعوذ بهن فإنه لم يتعوذ بمثلهن" وفي لفظ "اقرأ المعوذات دبر كل صلاة"

رسول الله؟ قال: «عليك بالقواقل قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين»[٢].

٥- المقشقشة: قال الماوردي (ت ٤٥٠هـ): "قيل إن المعوذتين كان يقال لهما المقشقشتان أي تبرئان من النفاق"[٣].

وقال أبو بكر ابن دريد: "القش: مصدر قششت الشيء أقشه قشًا، إذا استوعبته؛ ويقال: قششت الشيء بيدي قشًا، إذا حككته بيدك حتى يتحات. والحقوا هذه الكلمة ببناء جعفر فقالوا: قشقش، وقالوا: تقشقشت القرحة، إذا جفت وبرأت[٤].

ويظهر لي أن سورة الفلق والناس سميتا بذلك، لأنهما رقيةٌ يبرأ بهما المريض من الحسد أو السحر بإذن الله تعالى.

=

(١) صدرت سورة الإخلاص، والمعوذتين بعدها، ب (قل) وهذا أمر للنبي ^، ولأمته من بعده، وهو مناسب لختم الكتاب العزيز الذي أفتتح بتوحيد الله في العبادة والاستعانة، وطلب الهداية منه سبحانه؛ فاختتم بإقرار العبد بألوهية الله عز وجل وحده، وإقرارا منه بأنه وحده هو المستعاذ به من شر ما خلق على مراتب المخلوقات.

انظر: التفسير القرآني للدكتور عبد الكريم الخطيب (١٥/١٧١٦ - ١٧١٧).

(٢) أخرجه أمين الدين الآقشهري في رحلته (٢/٤٢١- لسان الميزان) من طريق جبير بن الحارث.

وجبير هذا أحد الكذابين يدعي الصحبة، وقد حدث بهذا الحديث في جمادي الأول سنة ست وسبعين وخمسمائة.

انظر: الفوائد المجموعة (٤٢٢) للشوكاني

(٣) النكت والعيون (٦/٣٧٣)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/٢٢٥) والكشاف للزمخشري (٦/٤٦٩)، وروح المعاني للألوسي (٣٠/٧٢١).

(٤) جمهرة اللغة (١/٤٤).

٦- المشقشقة: قال السيوطي: "سورة الفلق والناس المعوذتان، المشقشقتان من قولهم خطيب مشقشق"(١). وقال البقاعي ت٨٥٥هـ: "شقق الكلام: أخرجه أحسن مخرج"(٢).

وهذا لبيان قوة وحسن هذه السورة.

ولم أقف على أثر في تسمية هذه السورة بهذين الاسمين المقشقشة والمشقشقة؛ فيظهر أنهمامن باب الاجتهاد بتسمية السورة ببعض ما اشتملت عليه من معنى.

عدد آياتها:

عدد آيات هذه السورة خمس باتفاق القراء؛ قال أبو عمرو الداني (ت١٥٤هـ) رحمه الله: "هي خمس آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف"(٣).

المطلب الثالث: ما ورد في فضل سورة الفلق:

إن تفضيل سورة من القرآن ثابت بالسنة، وهو المعتمد من قول أهل العلم(٤)، ولسورة الفلق فضائل

كثيرة سأورد جملة منها فمن ذلك:

١- حب الله لها:

ما رواه عن عقبة بن عامر قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرئني من سورة يوسف أو سورة هود؟

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (١/١٥٨).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٣/٢٥٧).

(٣) البيان (٢٩٧)، وحكى الاتفاق هذا عامة المفسرين.

(٤) انظر لمعنى تفضيل سورة من القرآن: كلام الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٤٤)، ونقله السيوطي في الإتقان (٢/٤٤٠-٤٤١)

قال: "يا عقبة اقرأ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فإنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله – عز وجل – وأبلغ عنده منها؛ فإن استطعت أن لا تفوتك فافعل"(١).

٢– ما أنزل مثلها في التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور:

عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "يا عقبة بن عامر ! ألا أعلمك سورا ما أنزلت في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلهن ؟ لا يأتينك عليك ليلة إلا قرأتهن فيها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾"(٢).

٣– ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليها:

عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾"(٣).

٤– قراءتها في الصلاة:

عن عقبة بن عامر الجهني يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله عز وجل ولا أبلغ من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ، فإن استطعت أن لا تدعها في صلاة فافعل(١).

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٧١) وابن الضريس في فضائل القرآن (١٩٥ رقم ٢٨٣) وابن حبان في الصحيح (٥/١٥٠ رقم ١٨٤٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٧/٣١١ رقم ٨٦١).

والحديث صححه ابن كثير في التفسير(٤/٥٧٣) حيث قال بعد أن ذكر كثيرًا من طرقه:"هذه طرف عن عقبة كالمتواترة عنه، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث".

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٥٨). وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ رقم ٨٩١).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (٨/١٣٩) رقم ٨١٤)

٥- قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بها في الصلاة المفروضة:

عن عائشة: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدها ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١] و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾"(٢).

٦- قراءتها في الوتر:

عن عائشة: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث فيقرأ في أول ركعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] ، وفي الثانية ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، وفي الثالثة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾"(٣).

=

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٤/٤٣٨ رقم ٧٨٤٠) والطبراني في المعجم الأوسط (٦/١٤٨ رقم ٦٠٤٩) وصححه ابن كثير في التفسير (٤/٥٧٣).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٨٤) وابن حبان في الصحيح (٦/١٨٨، ٢٠١ رقم ٢٤٣٢، ٢٤٤٨) والدارقطني في السنن (٢/٢٤) والحاكم في المستدرك (١/٣٠٥) والواحدي في الوسيط (٤/٤٦٨).

قال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ في نتائج الأفكار (١/٥١٤): "هذا حديث حسن".

(٣) أخرجه البزار في المسند (١٨/٢٤٠ رقم ٢٦٦،٢٦٧) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٨٤، ٢٨٤) وابن حبان في الصحيح (٦/١٨٨، ٢٠١ رقم ٢٤٣٢، ٢٤٤٨) والحاكم في المستدرك (١/٣٠٥).

قال الحاكم:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه". وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (١/٥١٤): "هذا حديث حسن".

٧- قراءتها دبر كل صلاة:

عن عقبة بن عامر قال: "أمرني رسول الله أن أقرأ بالمعوذتين في دبر كل صلاة"(١).

٨- أنها من أفضل المعوذات:

عن عبد الله بن خبيب قال:"كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في طريق مكة فأتتنا ضبابة فرقت بين الناس. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أين الناس؟". قلت: فرقت بينهم الضبابة! قال: "قل ". قلت: ما أقول؟ قال:"﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ، حتى ختمها. فقلتها. فقال:" ما تعوذ الناس والخلق بمثلها(٢).

٩- قراءتها في الصباح والمساء:

عن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: "خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا؛ قال: فأدركناه. فقال: "قل" فلم أقل شيئا. ثم قال: "قل" فلم أقل شيئا. قال: "قل" قلت: ما أقول؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء"(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (١٧١/٥ رقم ٢٩٠٣) وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (رقم ٢٩٠٣)

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٧٠) والبخاري في التاريخ الكبير (٢١/٥) والنسائي في السنن (٦٤٢/٨ رقم ٥٤٤٤) والترمذي في السنن (٥٣٠/٥ رقم ٣٥٧٥) وأبو داود في السنن (٣٢٠/٥ رقم ٥٠٨٢).

قال الترمذي:"هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣١٢/٥ رقم ٢٢٧١٦)، وأبو داود في سننه (٤٨٢/٤ رقم ٥٠٤٨)، والترمذي في السنن (٥٦٧/٥ رقم ٣٥٧٥)، والنسائي في سننه (٢٥٠/٨ رقم ٥٤٢٨)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (رقم ٥٠٤٨).

١٠- قراءتها عند النوم:

عن عائشة: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه -كل ليلة - جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده: يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[(١)].

١١- قراءتها للتعوذ من الجان وأعين الإنس:

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان وأعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سواهما»[(٢)].

١٢- قراءتها رقية من كل داء:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»[(٣)].

١٣- قراءتها رقية من لدغة العقرب:

عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لعن الله العقرب لا تدع مصليًا

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٣/٩ رقم ٥٠١٧- فتح).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٥٤٤/٤ رقم٣٥١١)، والترمذي في السنن (١٢١/٨ رقم ٢١٩٨) وقال: حديث حسن غريب، والنسائي في سننه (٢٠٠/٧ رقم ٧٨٠٤). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (رقم٣٥١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٦/٩ رقم ٥٠١٦، ٥٠١٧) ، ومسلم في صحيحه (٤٠٣/١٤ رقم ٥٦٧٩).

ولا غيره. ثم دعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ ب ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»[1].

المطلب الرابع: سبب نزول سورة الفلق:

ذكر جمهور المفسرين أن سبب نزول المعوذتين هو قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم[2]، كما رواها زيد بن أرقم رضي الله عنه بقوله: "سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود، قال: فاشتكى فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: إن رجلًا من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان، فأرسل عليًا فجاء به، فأمره أن يحل العقد، ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال، قال: فما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك اليهودي شيئا مما صنع به، قال: ولا أراه وجهه"[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١١٧)، وأبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان (٢/٢٢٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ رقم٥٤٨).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤/٧٢٣-٧٢٤)، والمحرر الوجيز (١٥/٦٠٩-٦١٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٦٠٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٨/٥٣٩)، والجامع لأحكام القرطبي (٢٠/٢٣١)، والبيضاوي (٨١٥)، ولباب التأويل (٧/٣٢٢-٣٢٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٥٨٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٨/٥٣٢)، وبدائع التفسير (٥/٤٠٤-٤٠٨)، وتفسير أبي السعود (٩/٢١٥)، وفتح القدير للشوكاني (٤/٥٧٩-٥٨٠)، وروح المعاني للألوسي (٣٠/٧١٧)، وتتمة أضواء البيان لعطية سالم (٩/٣٤٢).

(٣) أخرجه عبد بن حميد في المسند (١١٥ رقم ٢٧١)، وقال الألباني في الصحيحة (٦/٦١٧ رقم ٢٧٦١): إسناده صحيح.

وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- وجاء فيها التصريح باسم اليهودي أنه لبيد بن الأعصم اليهودي أخرجه البخاري في صحيحه ك:

المبحث الثاني

تفسير سورة الفلق تفسيرًا تحليليًّا

وتحته تمهيد ومطلبان

تمهيد:

سورة الفلق لها شأن عظيم، ومنزلة كبيرة، فقد اشتملت على مقاصد شرعية جليلة، قال ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) رحمه الله: " يظهر في هاتين السورتين –الفلق والناس– عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغنى عنهما أحد قط، وأن لهما تأثير خاصًا في دفع السحر والعين، وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس؛ وقد اشتملت على أصول الاستعاذة الثلاثة:

الأول: نفس الاستعاذة.

الثاني: المستعاذ به.

=

الطب، ب:السحر (٢٧٢/١٠ رقم ٥٧٦٣) وب: هل يستخرج السحر؟ (٢٨٥/١٠ رقم ٥٧٦٥)، ومسلم في صحيحه ك: الطب، ب:السحر (٣٩٦/١٤ رقم ٥٦٦٧).

تنبيه: قد قيل في سبب نزول السورة أقوال أخرى غير مسندة منها: روي أن جبريل عليه السلام أتاه وقال: (أن عفريتًا من الجن يكيدك، فقال: إذا أويت إلى فراشك قل أعوذ برب الفلق. انظر: مفاتيح الغيب (٨/٥٣٩) التحرير والتنوير (٦٢٥/١٥) نقلا عن الرازي، وتقدم سبب آخر في المطلب الأول.

ولم يذكر مؤلفا كتاب الاستيعاب في بيان الأسباب النزول (٥٨٧/٣–٥٩١) سوى قصة السحر.

الثالث: المستعاذ منه"[1].

وفيما سيأتي – بإذن الله تعالى– بيان هذه الثلاث الأصول؛ وما اشتملت عليه السورة من حكم وأحكام، والله الموفق إلى سواء السبيل.

المطلب الأول: القول في تأويل ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾:

أولاً: المفردات اللغوية:

% قوله:﴿ أَعُوذُ[2]﴾: مادة العين والواو والذال تطلق على معنيين:

١– **اللزوم والمجاورة**؛ قال ابن فارس:" العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء، ثم يحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه[3]". "والعوذ من اللحم ما عاذ بالعظم ولزمه؛ قال ثعلب قلت لأعرابي ما طعم الخبز ؟ قال أدمه قال قلت ما أطيب اللحم؟ قال عوذه"[4].

٢– **الستر**؛ قال ابن منظور: العوذ والمعوذ من الشجر ما نبت في أصل هدف أو شجرة أو حجر

يستره لأنه كأنه يعوذ بها"[5].

وكلا المعنيين منتظم في الاستعاذة بالله تعالى: فإن المستعيذ مستتر بمعاذه محتم به،

---

(١) بدائع التفسير (٥/٣٧٥) بتصرف.

(٢) وأصل الكلمة أعوذ بسكون العين وضم الواو، فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى العين وبقيت ساكنة ومصدره عوذ وعياذ ومعاذ. انظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤/١٨٣).

(٤) اللسان (٤/٤٦٢) ،وفي الصحاح (٢/٤):" يقال: أطيب اللحم عوذة، وهو ما عاذ بالعظم ولزمه.

(٥) اللسان (٤/٤٦٢).

لاجيء معتصم به، قد استمسك قلبه به ولزمه[1]. فمعنى (أعوذ) ألتجئ وأعتصم وأحتمي واتحصن.

والعوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به، يقال عاذ فلان بفلان، ومنه قوله تعالى: (قل أعوذ برب)، والعوذة: ما يعاذ به من الشيء، ومنه قيل للتميمة والرقية عوذة، وعوذه إذا رقاه[2]. والمعاذ: المصدر، والمكان، والزمان؛ أي لقد لجأت إلى ملجأ ولذت بملاذ[3] والعوذة والمعاذة: التي يعوذ بها الإنسان من فزع أو جنون[4].

% قوله ﴿بِرَبِّ﴾: مادة الراء والباء يدل على أصول منها:

١- لزوم وإصلاح الشيء والقيام عليه، والرب: المصلح للشيء[5] المربي المدبر القيم[6]، فهو تربية الشيء وإنشاؤه حالا فحالا إلى حد التمام، يقال ربه ورباه وربيه، فالرب مصدر مستعار للفاعل[7].

٢- المالك، والخالق، والمنعم، والصاحب.

٣- السيد المطاع[8].

---

(١) بدائع التفسير لابن القيم (٥/٣٧٧).

(٢) المفردات للأصفهاني (٣٥٢).

(٣) النهاية لابن الأثير (٦٤٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤/١٨٤).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٣٨١- ٣٨٢).

(٦) النهاية لابن الأثير (٣٣٨).

(٧) المفردات للأصفهاني (١٨٤).

(٨) انظر: جامع البيان للطبري (١/١٤٢- ١٤٣) ، النهاية لابن الأثير(٣٣٨)، معجم مقاييس اللغة (٢/٣٨١-٣٨٢).

ولا يقال الرب مطلقًا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥] وإذا أطلق على غيره أُضيف؛ فيقال: رب الدار ورب الفرس لصاحبهما.

والربوبية مصدر يقال في الله عز وجل، والرباية تقال في غيره، وجمع الرب أرباب قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩] ولم يكن من حق الرب أن يجمع إذ كان إطلاقه لا يتناول إلا الله تعالى، لكن أتى بلفظ الجمع فيه على حسب اعتقاداتهم لا على ما عليه ذات الشيء في نفسه[١].

% قوله: ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾: مادة الفاء واللام والقاف أصل صحيح يدل على:

١- فرجة وبينونة في الشيء.

٢- وعلى تعظيم شيء[٢].

فعلى الأول: له معنيان:

تارة يطلق على الفعل (الفلق): شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض يقال فلقته فانفلق، قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ...﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦]، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ...﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: ٩٥]، ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣]

- وتارة (الفلق) المفلوق؛ ومنه قوله﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ أي الصبح؛ لأن الظلام ينفلق عنه.

والفلق: الخلق كله، كأنه شيء فلق عنه شيء حتي أبرز وأظهر[٣].

---

(١) المفردات للأصفهاني (١٨٤- ١٨٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٥٢).

(٣) انظر: المفردات للأصفهاني (٣٨٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٥٢).

وعلى الثاني: الفلق –بالكسر– العجب والفيلق العظيم[١].

ومنه الفليقة: وهي الداهية العظيمة. والعرب تقول: يا للفليقة. والأمر العجب العظيم. وأفلق فلان: أتى بالفلق. وكذلك يقال شاعر مفلق[٢].

ثانيًا: تفسير الآية بعرض أقوال السلف والمفسرين:

المخاطب بقوله تعالي: (قل)، والمراد من الخطاب: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وآحاد أمته[٣]، فعن أي بن كعب رضى الله عنهقال: سألت النبي فقال: «قيل لي، فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤].

وصدرت السورة ب(قل) لبيان أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له في القرآن إلا بلاغه، لا أنه أنشأه من قبل نفسه، بل هو المبلغ له عن الله، وانه صلى الله عليه وسلم بلغ القول الذي أمر بتبليغه على وجهه ولفظه، حتى إنه لما قيل له "قل" قال هو "قل" لأنه مبلغ محض. وما على الرسول إلا البلاغ[٥].

قوله تعالى (أعوذ): الاستعاذة بالله تعالى: هي الالتجاء والاعتصام والاحتماء والتحصن بالله عز وجل.

❖ فائدة بلاغية في قوله (أعوذ):

جاء التعبير ب(أعوذ) بالمضارع دون الماضي (استعذت)، تعوذت ودون الأمر (استعذ)؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل كالدعاء[٦].

---

(١) المفردات للأصفهاني (٣٨٥) ، والنهاية لابن الأثير (٧١٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥٢/٤).

(٣) المحرر الوجيز (٦٠٧/١٥).

(٤) سبق تخريجه (٢٤ حاشية ٢).

(٥) انظر: بدائع التفسير (٣٧٨/٥).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٦/١).

قلت: والتعبير بالمضارع أبلغ؛ لإفادته الحدوث والتجديد.

ولم تدخل والسين والتاء الدالة على الطلب على الفعل المضارع كقول (أستعيذ بالله)؛ لأن (أعوذ) فيها امتثال ما طلب منه من الالتجاء والاعتصام بالله تعالى بخلاف (استعيذ) ففيها طلب ذلك.

فالأول: مخبر عن حاله وعياذه بربه، وخبره يتضمن سؤاله وطلبه أن يعيذه.

والثاني: طالب سائل من ربه أن يعيذه، كأن يقول: أطلب منك أن تعيذني.

فحال الأول أكمل(١).

بيان أصول الاستعاذة الثلاثة التي اشتملت عليها السورة:

الأصل الأول: نفس الاستعاذة (أعوذ):

الاستعاذة عبادة قلبية وهي "ما يقوم بالقلب من الالتجاء والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه، أمر لا تحيط به العبارة"(٢).

الأصل الثاني: المستعاذ به؛ وهو الله وحده دون سواه (رب الفلق):

والتعبير بالرب فيه إشعار أنه قادر على كل شيء لأنه هو خالق كل شيء قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله–: " فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره"(٣).

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/٣٧٨).

فائدة: ومن ذلك ما جاء في امتثال الرسول ^ بربه في جميع استعاذاته كقوله: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) و(أعوذ بكلمات الله التامات) و(أعوذ بعزة الله وقدرته).

(٢) انظر: بدائع التفسير (٥/٣٧٧).

(٣) بدائع التفسير (١/١٤١) ، وانظر: روح المعاني (٣٠/٧١٣) ،وذكر الرازي أوجها عدة في تفسيره (٨/٥٤١).

الأصل الثالث؛ المستعاذ منه:

والمستعاذ منه في السورة نوعان:

١- عام: في قوله ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾

٢- وخاص: في قوله ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ إلى آخر السورة.

وسيأتي الكلام عليهما في موضعهما.

قوله تعالى (برب الفلق): جاءت الاستعاذة باسم الرب، مضافا إلى الفلق للطائف ومناسبات؛ منها:

١- ما في (الرب) من معنى يشعر بتفرده سبحانه بتدبير الأمر؛ قال الإمام الطبري رحمه الله: "ربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبة له، ولا مثل في مثل سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر"(١).

٢- ربوبية الله تتضمن: خلقه، وملكه، وتدبيره، ونفاذ أمره، وكونه عز وجل يصرف الأمور بمشيئته وإرادته وفق حكمته عز وجل؛ وكل ذلك يستلزم إلهية الله جل في علاء على خلقه(٢)، وهذا يستلزم سبحانه تعالى بأن يستعاذ به دون من سواه، "فالخالق هذه الأشياء هو المستحق للعبادة"(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: "اسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السموات

(١) جامع البيان للطبري (١/١٤٣).

(٢) انظر: بدائع التفسير (١/١١٣).

(٣) انظر: الأصول الثلاثة (١٩).

والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره[1]". فناسب هذا الاسم ما تضمنته السورة من الاستعاذة به تعالى في دفع الشر؛ إذ الإعاذة من المضار تربية.

٣- إن اسم الرب تبارك وتعالى دل على ذات الله وربوبيته بالمطابقة، وعلى أحدهما بالتضمن،

كما دل على سائر أسماء الله تعالى الحسنى بالالتزام[2] ولا شك أن هذا أكمل في الدعاء، وبهذا كان دعاء النبيين كقول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، ونوح عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]، وغيرهم مما حكاه لنا القرآن، وكذا ما

جاء في حديث الكسب الحلال: "يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب"[3].

٤- جاءت صفة الربوبية مضافة إلى الفلق لتناسب الاستعاذة المطلوبة، وتقتضي دفع الشر المستعاذ منه؛ وهذه أعظم مناسبة وأبينها، إذ أن الله يدعى بأسمائه الحسنى فيسأل لكل مطلوب باسم يناسبه ويقتضيه[4].

---

(١) بدائع التفسير (١/١٤١). وانظر: روح المعاني(٣٠/٧١٣) ، وذكر الرازي أوجها عدة في تفسيره (٨/٥٤١)

(٢) قال عبدالرحمن الأخضري (ت ٩٨٣هـ) في متن السلم المنورق (٢) في بيان أنواع الدلالة اللفظية:

دلالة اللفظ على ما وافقه يدعونها دلالة المطابقة

وجزئه تضمنًا وما لزم فهو التزام إن بعقل التزم

وانظر: قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- لتفسير هذه الدلالات في دقائق التفسير (٢/٣٦٦)، وقول الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى (١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٧٠٣ رقم ١٠١٥).

(٤) بدائع التفسير (٥/٣٨١)

بيان معنى الفلق:

اختلفت عبارة السلف في تفسير الفلق على أقوال:

١- سجن أو بيت أو جب في جهنم أو واد فيها؛ لما رواه أبو هريرة عن النبي قال: "الفلق جب في جهنم مغطى"(١).

وهذا القول مروي عن ابن عباس(٢)، وعبدالله بن عمرو، وكعب الأحبار، ووهب، والسدي، وغيرهم(٣).

٢- شجرة في جهنم؛ لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الفلق شجرة في جهنم فإن أراد الله أن يعذب الكافر بأشد يأمره أن يأكل من ثمرها»(٤). وهو مروي عن عبد الله بن عمر(٥).

٣- اسم لجهنم؛ روي هذا عن أبي عبد الرحمن الحبلي(٦).

٤- الصبح؛ روي هذا عن ابن عباس، وجابر بن عبدالله، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابن زيد(١).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤١/٢٤). قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٥٣٥/٨)،"إسناده غريب ولا يصح رفعه".

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤١/٢٤)، وإسناده ضعيف؛ فيه مجاهيل!، ولم يشتهر هذا القول عن تلامذته، بخلاف القول بأنه الصبح.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٧٤١/٢٤-٧٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٤٧٥/١٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٢٥/٤)، وزاد المسير(١٦٠٤)، وتفسير ابن كثير (٥٣٥/٨)، والدر المنثور(٧٩٦/١٥).

(٤) ذكره السمرقندي في التفسير (٦١٠/٣)، ولم أقف على من أخرجه.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (١٦٠٥)، وقيل: عبدالله بن عمرو، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٨/٢٠).

(٦) جامع البيان للطبري (٧٤٣/٢٤)

٥- الحب والنوى؛ روي هذا عن القرظي[٢].

٦- كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوى؛ روي هذا القول عن الحسن[٣].

٧- الخلق؛ روي هذا عن ابن عباس، والضحاك[٤].

دراسة الأقوال ومناقشتها:

يمكن أن نرجع هذا الاختلاف إلى ثلاثة أقوال:

الأول: جهنم وكل ما انفلق عنها من جب، أو بيت، أو سجن، أو شجرة، أو واد.

وتعيين شيء في جهنم من بيت أو جب أو واد أو شجرة باسم الفلق هو من الغيبيات التي لا نستطيع التعرض لنفيها ولا إثباتها إلا بدليل منقول ثابت وقد جاء هذا القول عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، والسدي وهذا ما يرجح كونه من الإسرائيليات المسكوت عنها في شرعنا فلا تصدق ولا تكذب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " أما من قال: إنه واد في جهنم، أو شجرة في جهنم، أو اسم من أسماء جهنم، فهذا أمر لا تعرف صحته، لا بدلالة الاسم

=

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق (٤٧٦/٣) ، وجامع البيان للطبري (٧٤٣/٢٤ -٧٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٤٧٥/١٠)، وتفسير ابن كثير (٥٣٥/٨).

(٢) جامع البيان للطبري (٧٤٤/٢٤).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٦٠٥).

(٤) جامع البيان للطبري (٤٩٦/٦) ، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٧٥/١٠) ، وزاد المسير(١٦٠٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٩/٢٠) ، وتفسير ابن كثير (٥٣٥/٨)

عليه، ولا بنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة"[1].

الثاني: وهو كل ما فلقه الله تعالى في خلقه؛ كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والحب عن النوى، والنور عن الظلمة، وغير ذلك؛ ويكون الصبح أحد الأمور الداخلة في هذا المعنى.

قال الإمام ابن جرير الطبري-رحمه الله-: "الصواب من القول في ذلك، أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، والفلق في كلام العرب: فلق الصبح، تقول العرب: هو أبين من فلق الصبح، ومن فرق الصبح. وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فلق. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن جل ثناؤه وضع دلالة على أنه عني بقوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ بعض ما يدعى الفلق دون بعض؛ وكان الله تعالى ذكره رب كل ما خلق من شيء؛ وجب أن يكون معنيًا به كل ما اسمه الفلق؛ إذ كان رب جميع ذلك"[2].

ويشهد القرآن والسنة لتفسيره بالصبح، والحب والنوى قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥ فَالِقُ

(١) دقائق التفسير (٤٩٦/٦) ، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي (٤١٥/٧) ،وتتمة أضواء البيان لعطية سالم (٣٦٥/٩).

فائدة: ذكر الرازي في تفسيره (٥٤٣/٨) توجيهًا لتفسيره بواد بجهنم بقوله: "إنما خصه بالذكر هاهنا لأنه هو القادر على مثل هذا التعذيب العظيم الخارج عن حد أوهام الخلق، ثم قد ثبت أن رحمته أعظم وأكمل وأتم من عذابه، فكأنه. يقول: يا صاحب العذاب الشديد أعوذ برحمتك التي هي أعظم وأكمل وأتم وأسبق وأقدم من عذابك."اهـ

وانظر: لباب التأويل للخازن (٣٢٤/٧).

(٢) جامع البيان للطبري (٧٤٥/٢٤).

﴿ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٦] وفي حديث عائشة رضى الله عنها في بدء الوحي قالت: " وأنه صلى الله عليه وسلم ما كان يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح"(١).

وتظهر مناسبة تفسيره بالصبح لحكم السورة ومقاصدها قال أبو السعود: "تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفتق بعد الرتق، عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يعوذ منه، وإنجائه منه، وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجلد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه عز وجل"(٢).

وقد خُص عرفًا بالصبح(٣).

وممن رجح القول بأنه كل ما يفلقه الله تعالى، أو الخلق كله: الرازي، والقرطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأبو السعود، والألوسي، والقاسمي، وعطية سالم، والهرري(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١ رقم ٣).

(٢) تفسير أبو السعود (٢١٤/٩). وذكر المفسرون أوجهًا عدة في مناسبة ذلك؛ انظر: مفاتيح الغيب (٥٤١/٨- ٥٤٢)، ولباب التأويل (٣٢٤/٧)، وروح المعاني (٧١٢/٣٠)، والتحرير والتنوير(٦٢٦/١٥).

(٣) روح المعاني (٧١٢/٣٠).

(٤) مفاتيح الغيب (٥٤١/٨- ٥٤٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٩/٢٠) ، دقائق التفسير (٤٩٦/٦)، إرشاد العقل السليم (٢١٤/٩)، روح المعاني (٧١٣/٣٠)، محاسن التأويل (٤١٥/٧)، تتمة أضواء البيان (٣٣٩/٩)، حدائق الروح (٤٥٦/٣٢)

فائدة: ممن سكت ولم يرجح بين الأقوال: ابن عطية في المحرر الوجيز (٦٠٧/١٥- ٦٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٦٠٤ -١٦٠٥)، والخازن في لباب التأويل (٣٢٤/٧)، وابن

وممن فسره بالصبح: البخاري، والبغوي، والحافظ ابن كثير، وابن عاشور[1]، وهو قول الأكثرين[2].

الثالث: الخلق كله: قال الزجاج: "إذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انفلاق"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" إذا قيل: الفلق يعم ويخص. فبعمومه للخلق أستعيذ من شر ما خلق، وبخصوصه للنور النهاري أستعيذ من شر غاسق إذا وقب؛ فإن الغاسق قد فُسر بالليل"[4]. والله تعالى أعلم.

الترجيح:

بالنظر إلى مقاصد السورة، ومناسبة الآية لما بعدها، يظهر لي والله أعلم؛ أنه يمكن الجمع بين الأقوال وبقاء القول على إطلاقه؛ إذ لا مخصص له - كما قال الإمام

=

جزي في التسهيل لعلوم التنزيل (٥٨٥/٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٣٢/٨- ٥٣٣)، والزمخشري في الكشاف (٤٦٤/٦).

ويظهر لي أن عدم ترجيحهم؛ لحواز الأقوال كلها؛ وذكر الخازن توجيها لكل قول.

(١) الصحيح (٩٦١/٨)، معالم التنزيل (٧٢٤/٤ -٧٢٥)، التفسير (٥٣٥/٨)، التحرير والتنوير (٦٢٦/١٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٤١/٨) ، اللباب للخازن (٣٢٤/٤) ، دقائق التفسير لابن تيمية (٤٩٦/٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٤١٥/٧).

(٣) زاد المسير (٢٧٣/٩)

(٤) دقائق التفسير (٤٩٦/٦ -٤٩٧)، وذكر المفسرون أوجهًا لمناسبة التأويل بالخلق كله؛ انظر: مفاتيح الغيب (٥٤٢/٨). ولباب التأويل (٣٢٤/٧)، ومحاسن التأويل (٤١٥/٧)، وتتمة أضواء البيان لعطية سالم (٣٣٩/٩).

الطبري- ويؤيده المعنى اللغوي للفلق ويكون ما ذكر من أقوال هو من باب ذكر أنواع العام؛ لأن الأصل حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص التخصيص[1].

بعض الفوائد المستنبطة من الآية:

في التعبير بالفعل (أعوذ) فيه:

- أن المتكلم يلتجأ إلى الله ويعتصم بنفسه لإفراده الفاعل؛ إذ الاستعاذة مطلوبة من كل واحد.

العبد يحكي حاله من الاعتصام بالله.

- ما في الاستعاذة من معنى الالتجاء والاعتصام واللوذ بالله عز وجل دون من سواه.

في قوله (برب) فيه:

- إطلاق كلمة (رب) معنى بلاغي إذ لا يقال الرب مطلقًا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات،

وإذا أطلق على غيره أضيف.

ثالثًا: النواحي البلاغية في الآية:

في قوله (قل) تهيئة للمخاطب ولفت لانتباهه؛ تهيئة له لامتثال ما يقال له.

في التعبير بالفعل (أعوذ) فيه فوائد بلاغية:

- إفادة الحدوث والتجدد لاستعماله الفعل المضارع[2].

في قوله (برب) فيه فوائد بلاغية:

---

(١) انظر: قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/٥٢٧).

(٢) تقدم بيان ذلك (٣٧) عند تفسير قوله أعوذ.

– التعبير بحرف الباء أفاد معنى الاستعانة[1]؛ إذ المستعيذ بالله مستعينا به معتصما به لأن يحفظه ويقيه أنواع الشرور.

رابعًا: ما تضمنته الآية من أحكام:

١– ظاهر الآية: الأمر بالاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من هذه المذكورات في السورة، والأمر في الأصل يفيد الوجوب ما لم تصرفه قرينة كما هو مقرر ي كتب الأصول!

لكن الأمر بالاستعاذة من هذه المذكورات: مصروف إلى الاستحباب ومخرجه الإرشاد والتعليم بدلالة

حديث عقبة بن عامر الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون»، قال: قلت: بلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أعوذ برب الناس وأعوذ برب الفلق هاتين السورتين»[2].

ووجه الدلالة: أن التفضيل دال على أنه أمر استحباب وإرشاد.

ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنهقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان وأعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سواهما»[3].

ووجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالأخذ بها، ولا بالنهي عن التعاويذ السابقة.

---

(١) الدر المصون (٩/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٢/٤)، والنسائي في السنن (٢٥١/٨ رقم ٥٤٣٢)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ رقم١١٠٤)

(٣) سبق تخريجه.

٢- ومفهوم المخالفة للآية النهي عن التعوذ بغير الله[١]، ولا شك أن الاستعاذة بالله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا هو واجبة؛ لعموم الأدلة الواردة في الباب. وهذه لا تُصرف إلا لله عز وجل، وصرفها لغير الله شرك أكبر.

وأما الاستعاذة بغير الله فيما يقدر عليه المخلوق؛ ففيها تفصيل:

أ- إن كانت الاستعاذة بعمل الظاهر والباطن بذلك المخلوق؛ فهذه شرك أكبر ولا يجوز صرفها لغير الله تعالى؛ وإلى هذا والذي قبله تتوجه أدلة التحريم، وأقوال العلماء في تحريم الاستعاذة بالمخلوق؛ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله-: "باب من الشرك الاستعاذة بغير الله[٢].

ب- إن كانت فقط بعمل الظاهر، والباطن منصرف إلى الله تعالى؛ وما العبد إلا سبب، والقلب متعلق مطمئن بالله؛ فهذه جائزة كما جاء في الأحاديث شيء من مشروعيتها، ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: «فمن وجد من ذلك ملجا فليعذ به»[٣].

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٢٥٥ -٢٥٦)، التمهيد شرح كتاب التوحيد (١٩٦).

(٢) كتاب التوحيد (٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٣١٨ رقم ٣٤٠٦)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٢١١ رقم ٢٨٨٦).

المطلب الثاني: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

اشتملت هذه الآيات على: **الأصل الثالث من أصول الاستعاذة: المستعاذ منه.**

والمستعاذ منه في السورة نوعان:

١- عام: في قوله ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾.

٢- خاص: في قوله ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ إلى آخر السورة.

وفيما يلي بيان له:

١- المستعاذ منه الأول: العام؛ قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾.

أولًا: المفردات اللغوية:

قوله تعالى (شر): مادة الشين والراء أصل واحد يدل على الانتشار والتطاير، من ذلك الشر خلاف الخير[١]، فالشر الذي يرغب عنه الكل، كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل، قال: ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ [يوسف: ٧٧]، ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ [الأنفال: ٢٢]، وشرار النار ما تطاير منها وسميت بذلك لاعتقاد الشر فيه، قال: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ ﴾ [المرسلات: ٣٢][٢].

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/١٨٠).

(٢) المفردات في غريب القرآن (٢٥٧).

ثانيًا: تفسير الآية بعرض أقوال السلف والمفسرين:

(من شر ما خلق) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: جهنم، قاله ثابت البناني " أعوذ برب جهنم ومن شدائد ما خلق فيها"[(١)].

الثاني: إبليس وذريته، قاله الحسن. "لأن الله تعالى لم يخلق خلقًا هو شر منه ولأن السورة إنما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك إنما يتم بإبليس وبأعوانه وجنوده"[(٢)].

الثالث: من شر ما خلق في الدنيا والآخرة، قاله ابن شجرة[(٣)].

دراسة الأقوال والترجيح:

وبناء على ما تقدم فإن جمهور المفسرين حملوها على العموم فيشمل جيع المخلوقات وهو الأظهر من الآية؛ فإن (ما) عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من الثقلين وغيرهم من حيوان مكلف وغير مكلف، وجماد كالإحراق بالنار، والإغراق بالبحر، والقتل بالسم، فهو يعم كل مخلوق فيه شر في الدنيا والآخرة[(٤)]، قال ابن جرير الطبري: "أمر نبيه أن يستعيذ من شر كل شيء إذا كان كل ما سواه، فهو ما

---

(١) مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨).

(٢) مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨)، ونسبه إلى عطاء عن ابن عباس. وانظر لباب التأويل (٣٢٤/٧).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٣٧٤/٦)، وانظر: زاد المسير (١٦٠٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٩/٢٠)، لباب التأويل (٣٢٤/٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٦٠٨/١٥)، زاد المسير (١٦٠٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٥٨٥/٢)، البحر المحيط (٥٣٣/٨)، بدائع التفسير (٣٨٩/٥)، تفسير ابن كثير (٥٣٥/٨)

خلق"[1]. لأنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص التخصيص[2].

رابعًا: النواحي البلاغية في الآية:

١- عموم (الفلق) قابل بعموم (ما خلق)[3].

٢- جناس ناقص بين (الفلق) و (خلق)[4].

٣- التعبير بـ (من) أفاد التبعيض[5]، و(ما) هنا: اسمية أفادت العموم[6] والتقدير: من شر بعض الذي خلق؛ فهنا عموم تقييدي وصفي، لا عموم إطلاقي؛ والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر، فعمومها من هذا الوجه، وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه الله؛ فمخلوقات الله تعالى منها ما هو خير محض؛ كالجنة وما فيها، والملائكة، والأنبياء، ومنها ما هو شر محض؛ كالنار وإبليس باعتبار ذاتيهما، أما باعتبار الحكمة التي من أجلها خلقهما الله فهي خير، ومنها ما فيه شر وخير؛ كالإنس، والجن، والحيوان[7].

٤- إنما جاز إدخال الجن والإنسان تحت لفظة (ما) لأن الغلبة لما حصلت في جانب غير العقلاء حسن استعمال لفظة (ما) فيه لأن العبرة بالأغلب أيضًا ويدخل

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٤/٧٤٥).

(٢) انظر: قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/٥٢٧).

(٣) تتمة أضواء البيان (٩/٣٦٥).

(٤) حدائق الروح (٣٢/١٦٩)

(٥) الإتقان (١/٤٧٨).

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر: بدائع التفسير (٥/٣٩٥ -٣٩٦) ، القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/٢٥٣ – ٢٥٤).

فيه شرور الأطعمة الممرضة وشرور الماء والنار[1].

خامسًا: ما تضمنته الآية من أحكام:

ظاهر الآية العموم: فيشمل الأمراض والأسقام والقحط وأنواع المحن والآفات، والآلام الحاصلة عقيب الماء والنار ولدغ الحية والعقرب؛ وقد أشكل على بعض المتكلمين، وفيما يلي شبههم:

١- إذا كانت هذه حاصلة بخلق الله تعالى ابتداء على قول أكثر المتكلمين، أو متولدة من قوى خلقها الله تعالى في هذه الأجرام على ما هو قول جمهور الحكماء وبعض المتكلمين؛ وعلى التقديرين فيصير حاصل الآية أنه تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يستعيذ بالله من الله فما معناه[2]؟

والجواب:

أن كون هذه الأشياء مخلوقة لله فهو حق دلت عليه نصوص الوحيين، وهو قول أهل السنة والجماعة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وأما كون هذه الأشياء متولدة من قوى خلقها الله فهو قول باطل قول المعتزلة الذي يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه، وقد رد قولهم هذا الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد.

وقولهم: أنه تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يستعيذ بالله من الله؛ إن أرادوا بمعنى من خلق الله فمسلم. وإن أرادوا معنى أن كل ما في الوجود هو الله فهذه عقيدة وحدة أهل الوجود وهي عقيدة باطلة قد أطال أهل السنة في ردها وكشف باطلها.

---

(١) مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨).

(٢) نقله الرازي في مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨)

والله خلق هذه الأمور من باب الابتلاء والامتحان وشرع لعباده الاستعاذة منها فهذا من رحمته وكمال حكمته.

ثم لا مانع شرعًا أن يلجأ المسلم إلى الله ويعتصم به، قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) – رحمه الله–: "وأي بأس بذلك ولقد صرح صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: (وأعوذ بك منك)[١]"[٢].

٢– زعم الجبائي[٣] والقاضي[٤] أن هذا التفسير باطل لأن فعل الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شر؛ قالوا ويدل عليه ما يلي:

الأول: أن أفعال الله كلها حكمة وصواب وذلك لا يجوز أن يقال إنه شر.

الثاني: أن فعل الله لو كان شرا لوصف فاعله بأنه شرير ويتعالى الله عن ذلك[٥].

والجواب:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٥٢/١ رقم ٤٨٦).

(٢) مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨).

(٣) هو: أبو علي الجبائي (٢٣٥هـ – ٣٠٣هـ) قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٥/١١): " شيخ المعتزلة واسمه محمد بن عبدالوهاب أبو علي الجبائي شيخ طائفة الاعتزال في زمانه وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه وللجبائي تفسير حافل مطول له فيه اختيارات غريبة في التفسير وقد رد عليه الأشعري فيه وقال وكأن القرآن نزل في لغة أهل جباء".

(٤) القاضي هو: محمد بن الطيب أبوبكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، قال عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٥٠/١١ — ٣٥١) "رأس المتكلمين على مذهب الشافعي وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام، انتشرت عنه تصانيف كثيرة منها التبصرة ودقائق الحقائق والتمهيد في أصول الفقه وشرح الإبانة وغير ذلك، وكانت وفاته يوم السبت سنة ثلاث وأربعمائة".

(٥) نقله الرازي في مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨).

بأن يقال: إن الشر مسند في الآية إلى المخلوق المفعول، لا إلى خلق الرب تعالى الذي هو فعله وتكوينه، فإنه لا شر فيه بوجه ما، فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته، ولا أفعاله، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى، فإن ذاته وأوصافه لها الكمال المطلق، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة، لا شر فيها أصلا، ولو فعل الشر سبحانه لاشتق منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسني، ولعاد إليه منه حكم، تعالى ربنا وتقدس عن ذلك.

وما يفعله من العدل بعباده، وعقوبة من يستحق العقوبة[1] منهم: هو خير محض إذ هو محض العدل والحكمة، وإنما يكون شرًا بالنسبة إليهم، فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم، لا فعله القائم به تعالى.

وهنا أمران ينبغي تحقيقهما في هذا الباب:

أحدها: أن ما هو شر، أو متضمن للشر، فإنه لا يكون إلا مفعولًا منفصلًا لا يكون وصفًا له، ولا فعلًا من أفعاله.

الثاني: أن كونه شرًا هو أمر نسبي إضافي، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به ومشيئته له، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه.

وفي الحديث[2]: "لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك"[3].

٣- طعن بعض الملاحدة في قوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من وجوه[4]:

أحدهما: أن المستعاذ منه أهو واقع بقضاء الله وقدره أو لا بقضاء الله ولا بقدره.

---

(١) من الآفات، والمحن، والآلام والأسقام، وإقامة الحدود ونحوها

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٣٤/١ رقم ٧٧١).

(٣) بدائع التفسير (٣٨٩/٥ – ٣٩٥)، وانظر: مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨).

(٤) نقله الرازي في مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨).

● فإن كان الأول فكيف أمر بأن يستعيذ بالله منه وذلك لأن ما قضى الله به وقدره فهو واقع فكأنه تعالى يقول الشيء الذي قضيت بوقوعه وهو لا بد واقع فاستعذ بي منه حتى لا أوقعه.

● وإن لم يكن بقضائه وقدره فذلك يقدح في ملك الله وملكوته.

ثانيها: أن المستعاذ منه إن كان معلوم الوقوع؛ فلا دافع له فلا فائدة في الاستعاذة، وإن كان معلوم اللا وقوع فلا حاجة إلى الاستعاذة.

ثالثها: أن المستعاذ منه إن كان مصلحة فكيف رغب المكلف في طلب دفعه ومنعه، وإن كان مفسدة فكيف خلقه وقدره.

وجوابه بما يلي:

١- أن هذا الكلام باطل لتضمنه الاعتراض على الله والخوض في القدر، قال الفخر الرازي-رحمه الله: "واعلم أن الجواب عن أمثال هذه الشبهات أن يقال إنه لا يسأل عما يفعل"[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة	هو الخوض في فعل الإله بعلة
فإن جميع الكون أوجب فعله	مشيئة رب الخلق باري الخليقة
هو الملك المحمود في كل حالة	له الملك من غير انتقاص بشركة[(٢)]

٢- أن الاستعاذة والمستعاذ منه من باب قضاء الله وقدره ونحن مأمورون بها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: جميع الحوادث كائنة بقضاء الله وقدره، وقد

(١) مفاتيح الغيب (٥٤٣/٨).

(٢) القصيدة التائية لابن تيمية (٢٨،٣٢) بشرح الدرة البهية.

أمرنا أن نزيل الشر بالخير بقدر الإمكان؛ ودفع ما قُدر من الشر بما قدره الله من الخير، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١](١).

٣- من المتقرر أن العبد لا علم له بعدم وقوع الشر، وإن كان ذلك كذلك؛ فاحتمال وقوع الشر وارد عليه؛ فجاء الأمر بالاستعاذة دفعًا له كما جاء في الحديث: "لا يرد القدر إلا الدعاء..."(٢) قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: الفقيه من ينازع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر؛ فإن المقدور قُدر بأسبابه، ومن أسبابه: الدعاء - والاستعاذة: دعاء - فلم يقدر مجردًا عن أسبابه، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، ومتي لم يأت بالسبب انتفى المقدور؛ فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف هي من القدر، والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر، وكما جاء في الحديث عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقي بها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتَّقيها هل ترد من قدر الله شيئًا، قال: هي من قدر الله تعالى"(٣).

٤- وما يصيب المؤمن من قضاء إلا كان خير له؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده؛ لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٥٤٧ - ٥٥٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٨٠) والطبراني في الدعاء للطبراني (١/٣٠ رقم ٣١) والحاكم في المستدرك (١/٦٧٠) ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٤/٣٩٩ رقم ٢٠٦٥)، وابن ماجه في سننه (٢/١١٣٧ رقم ٣٤٣٧)، والحاكم في المستدرك (٤/٤٤٦)، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح".
انظر: الجواب الكافي لابن قيم الجوزية (٢٦ -٣١)، العبودية لابن تيمية (٣١ - ٣٥)

له"[1]، فالمؤمن إن كان صبورًا شكورًا، يكون ما يقضى عليه من المصائب خيرًا له، ويكون ما يُقدر من الشر إن نازعه ودافعه كما أمره الله ورسوله سببا ما يحصل له من البر والتقوى وحصول الخير والثواب وارتفاع الدرجات[2].

٢- المستعاذ منه الثاني: الخاص؛ قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

١- قوله تعالي: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾:

أولًا: المفردات اللغوية:

غاسق: مادة الغين والسين والقاف أصل صحيح يدل على ظلمة. فالغسق: الظلمة[3]، وغسق الليل: شدة ظلمته قال:﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾[الإسراء: ٧٨]، والغاسق: الليل المظلم، قال: (ومن شر غاسق إذا وقب)؛ وذلك عبارة عن النائبة بالليل كالطارق[4] وقال: أبو عبيدة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج (الغاسق): الليل[5]. وله إطلاقات أخرى[6].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٩٩٥ رقم ٢٩٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٥٤٧ – ٥٥٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٢٥).

(٤) المفردات في غريب القرآن (٣٦٠).

(٥) لسان العرب (٥/٣٥) (٤/٤٧١)، مفاتيح الغيب (٨/٥٤٣)، زاد المسير (١٦٠٥).

(٦) انظرها في: غريب القرآن (٥٤٢) لابن قتيبة، المفردات في غريب القرآن (٣٦٠)، الدر المصون (٣٠٠٤)، لسان العرب (٥/٣٦)، معالم التنزيل (٤/٧٢٥)، مفاتيح الغيب (٨/٥٤٤)، زاد المسير (١٦٠٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٣٠)، دقائق التفسير لابن تيمية (٦/٤٩٧).

وقب: مادة الواو والقاف والباء: كلمة تدل على غيبة شيء في مغاب. يقال وقب الشيء: دخل في وقبة، وهي كالنفرة في الشيء، وقب الشي: نرل ووقع. قال الله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾

قالوا: هو الليل إذا نزل، والإيقاب: تغييبه(١).

ثانيًا: تفسير الآية بعرض أقوال السلف والمفسرين فيها:

اختلفت أقوال السلف والمفسرين في معنى (الغاسق) إلى تسعة أقوال:

١- الليل إذا أقبل بظلامه: روي هذا عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك والسدي، ومحمد بن كعب القرظي، وخصيف، ومقاتل(٢).

٢- النهار إذا دخل في الليل، أو الشمس إذا غربت: روي هذا القول عن محمد بن كعب القرظي، وعن ابن شهاب(٣).

كوكب أو نجم: روي هذا القول عن أبي هريرة موقوفًا، ومرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال: النجم الغاسق"(٤). فيحتمل أن يريد الثريا(٥).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥٧/٥)، المفردات في غريب القرآن (٥٢٩)، الكشاف (٤٦٥/٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٧٤٦/٢٤ -٧٤٧)، الدر المنثور (٨٠٠/١٥)، تفسير عبد الرزاق (٤٧٦/٣)، النكت والعيون للماوردي (٣٧٥/٦) زاد المسير (١٦٠٥)، بدائع التفسير (٣٩٧/٥) تفسير ابن كثير (٥٣٥/٨).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٧٤٦ -٧٤٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٧٥/١٠).

(٤) جامع البيان (٢٤ /٧٤٧ - ٧٤٨)

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٦٠٩/١٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٥٨٦/٢)

٣- الثريا: إذا سقطت؛ وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند سقوطها، وترتفع عند طلوعها؛ روي هذا القول عن ابن زيد، وعن ابن شهاب[١].

٤- القمر[٢]: لحديث عائشة رضى الله عنها قالت: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي، ثم نظر إلى القمر، ثم قال: «يا عائشة تعوذي بالله من شر غاسق إذا وقب، وهذا غاسق إذا وقب»[٣].

ووقوب القمر له معان:

أ- هو القمر إذا امتلأ نور؛ إذ الغسق الامتلاء[٤].

ب- دخل في الكسوف أو الغيبوبة فاسود وذهب ضوؤه[٥].

ج- انمحاء نوره وهو دخوله في المحاق، وذلك في آخر الشهر[٦].

٥- إبليس: حكاه السهيلي[٧].

٦- الأسود من الحيات؛ ووثبته ضربه ونقبه[١].

---

(١) جامع البيان (٧٤٧/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٥).

(٢) جامع البيان للطبري (٧٤٨/٢٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٠٦/٦)، والطبري في التفسير (٧٤٨/٢٤)، الترمذي في جامعه (٤٥٢/٥ رقم ٣٣٦٦) ، والطبري في تفسيره (٧٤٨/٢٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (١ رقم ٣٧٢).

(٤) الكشاف (٤٦٥/٥)

(٥) انظر: النكت والعيون للماوردي (٣٧٤/٦)، معالم التنزيل(٧٢٥/٤)، الكشاف (٤٦٥/٦)، زاد المسير (١٦٠٥)، المحرر الوجيز (٦٠٩/١٥) حكاه عن القتبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/٢٠) لباب التأويل (٣٢٥/٧) التسهيل لعلوم التنزيل (٥٨٥/٢)،البحر المحيط (٥٣٣/٨).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨)، لباب التأويل (٣٢٥/٧).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (٥٨٦/٢)

٧- الحية إذا لدغت؛ وكأن الغاسق نابها لأنه السم يغسق منه؛ أي يسيل منه، ووقب نابها إذا

دخل في اللديغ[٢].

٨- كل هاجم يضر، كائنا ما كان؛ من قوهم غسقت القرحة إذا حرى صديدها[٣].

واختلفوا في معنى ﴿وَقَبَ﴾: على ثلاثة أقوال:

١- دخل وأقبل ونزل وأظلم ووجب: روي هذا عن ابن عباس، والحسين، وبمجاهد، وقتادة، ومحمد

بن كعب القرظي، والضحاك، وهذا الأشهر عند المفسرين وأهل اللغة[٤].

٢- سكن: قاله اليمان بن رئاب[٥].

٣- ذهب وغاب: روي هذا عن قتادة، وابن عطية[٦].

ورده الطبري فقال: "ولست أعرف ما قال قتادة في ذلك في كلام العرب، بل المعروف من كلامها

=

(١) الكشاف (٤٦٥/٦)، ونقله عنه الرازي مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨)، أبو حيان في البحر (٥٣٣/٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/٢٠)، وانظر: البحر المحيط (٥٣٣/٨)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/٢٠)

(٤) انظر: تفسير عبد الرزاق (٤٧٦/٣)، جامع البيان (٧٤٦/٢٤ – ٧٤٧)، النكت والعيون للماوردي (٣٧٥/٦)، النهاية لابن الأثير (٩٨٣)، لسان العرب (٤٧١/٦)

(٥) النكت والعيون للماوردي (٣٧٥/٦)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٢٩/٢٠).

(٦) تفسير عبدالرزاق (٤٧٦/٣)، جامع البيان (٧٤٩/٢٤)، الدر المنثور (٧٩٩/١٥).

من معنى وقب: دخل"[1]. وصححه القرطبي وقال: "وهو الأصح"[2].

وهذه المعاني لـ(وقب) كلها تعود على بعض الأقوال السابقة في معنى (غاسق) دون بعض، وسأبين ذلك عند دراسة الأقوال والترجيح.

دراسة الأقوال والترجيح ببنها:

أكثر المفسرين وأهل اللغة: حملوه على الليل.

والتعوذ من شر الليل لأن انبثاث الشر فيه أكثر، والتحرز منه أصعب، وفيه تخرج السباع والهوام وتنتشر، وفيه تنتشر الجن والشياطين[3].

واختار ابن جرير المعنى العام بقوله "أولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ (من شر غاسق). وهو الذي يظلم، يقال: قد غسق الليل يغسق غسوقًا: إذا أظلم. وإذا (وقب) يعني: إذا دخل في ظلامه؛ والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عم الأمر بذلك، فكل غاسق، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب"[4].

وهذا الذي يظهر من سياق الآية فإن الغاسق لغة: الشيء المظلم، و(غاسق) نكرة تفيد العموم، وما أثر من أقوال السلف والمفسرين بأنه الليل؛ إذ بظلامه يعمُّ الكون ويعظم فيه الشر، والقول بمغيب الشمس، والقمر، والنجم أو الكوكب لا خلاف

---

(١) جامع البيان (٢٤/٧٤٩)

(٢) في التفسير (٢٠٨/٢٣٠)

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٨/٥٤٤)، لباب التأويل (٧/٣٢٥)، الكشاف (٦/٤٦٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٥٨٥) النكت والعيون (٦/٣٧٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٣٠).

(٤) جامع البيان (٢٤/٧٤٩)

بينها؛ بل جميعها آيات الليل وعلامات الظلمة التي هي مظنة الشر؛ وكل فسر العام ببعض أفراده، فبقاء اللفظ على عمومه أولى من التخصيص.

مناقشة بعض الأقوال:

وأما التأويل بأنه كسوف القمر فقد تعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) – رحمه الله– فقال: " قال ابن قتيبة: ويقال: الغاسق القمر إذا كسف واسود. ومعنى وقب دخل في الكسوف. وهذا ضعيف فإن ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعارض بقول غيره، وهو لا يقول إلا الحق، وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه بل مع ظهوره. وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، فالقمر آية الليل، وكذلك النجوم إنما تطلع فترى بالليل، فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته. والدليل مستلزم للمدلول. فإذا كان شر القمر موجودًا، فشر الليل موجود، وللقمر من التأثير ما ليس لغيره. فتكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى"(١).

وأما القول بأنه الكوكب أو النجم؛ لحديث أبي هريرة رضى الله عنهمرفوعًا «أن الغاسق النجم»، فقد علق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– بقوله: "وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته لمن فسره بالليل فجعلوه قولًا آخر، ثم فسروا وقوبه بسكونه"(٢).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " لا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم(٣).

---

(١) دقائق التفسير (٤٩٧/٦)، وانظر: بدائع التفسير (٣٩٨/٥ – ٤٠٠)، تفسير ابن كثير (٥٣٦/٨).

(٢) دقائق التفسير (٤٩٧/٦)

(٣) في التفسير (٥٣٦/٨)

وتخصيص النجم بالثريا إذا سقطت، علق عليه ابن قيم الحوزية –رحمه الله– بقوله: "إن أراد صاحب هذا القول اختصاص الغاسق بالنجم إذا غرب فباطل، وإن أراد أن اسم الغاسق يتناول ذلك بوجه ما: فهذا يحتمل أن يدل اللفظ عليه بفحواه ومقصوده وتنبيهه وأما أن يختص اللفظ به فباطل"اهـ[1].

وأما القول بأنه البارد، ووصفه بالليل؛ فقد علق عليه ابن قيم الجوزية –رحمه الله– بقوله: "لا تنافي بين القولين فإن الليل بارد مظلم، فمن ذكر برده فقط أو ظلمته فقط اقتصر على أحد وصفيه، والظلمة في الآية أنسب لمكان الإستعاذة فإن الشر الذي يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل وهذا استعاذ برب الفلق الذي هو الصبح والنور من شر الغاسق الذي هو الظلمة فناسب الوصف المستعاذ به للمعنى المطلوب بالاستعاذة"[2].

وأما تأويله بالأسود من الحيات فقد ضعفه الرازي بقوله: "واعلم أن هذا التأويل أضعف الوجوه"[3].

وكذا القول بأنه الحية إذا لدغت، بل هي أحد أفراد الشر التي تزيد في الليل.

وكذا تفسيره بأنه إبليس؛ فما حكي إلا عن السهيلي؛ فلعله لأن شر إبليس يعظم وقت الظلمة، فكأنه فسر الغاسق بفاعل الشر في الظلمة لا بأصل الغسق.

ثالثًا: النواحي البلاغية:

١– (غاسق) خاص بعد عام لزيادة الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوع الشر فيه[1]، ولتيقن وقوع الشر فيه وهذا ما أفاد الحرف (إذا) إذ يدخل الأمر المتيقن كثير الوقوع[2].

---

(١) بدائع التفسير (٥/٤٠٠)

(٢) المرجع السابق (٥/٣٩٧)

(٣) مفاتيح الغيب (٨/٥٤٤)

٢- إضافة الشر إلى الغاسق الذي بمعنى الليل؛ لملابسته له بحدوثه فيه[٣].

٣- تنكير (غاسق)؛ لبيان عدم شمول الشر لجميع أفراده[٤].

٤- تنكير (غاسق)؛ تي مقام الدعاء يراد به العموم؛ لأن مقام الدعاء يناسبه التعميم؛ أي من كل غاسق[٥].

رابعًا: ما تضمنته الآية من أحكام:

في هذه الآية مشروعية الاستعاذة بالله عز وجل من شر كل غاسق إذا وقب.

٢- قوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾

أولًا: المفردات اللغوية:

النفاثات: مادة النون والفاء والثاء أصل صحيح يدل على خروج شيء من فم أو غيره بأدنى جرس[٦] ، ومنه قذف الريق القليل وهو أقل من التفل، ونفث الراقي، والساحر أن ينفث في عقده، قال: (ومن شر النفاثات في العقد)[٧].

وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: تفسير نفث نفخ نفخًا ليس معه ريق ومعنى تفل نفخ نفخًا معه ريق قاله ذو الرمة[٨].

=

(١) بدائع التفسير (٣٩٧/٥)، وانظر: حدائق الروح (٤٦٩/٣٢).

(٢) الإتقان (٤٠٢/١)

(٣) حدائق الروح (٣٢ /٤٦٩)

(٤) حدائق الروح (٣٢/ ٤٦٩)

(٥) التحرير والتنوير (٦٢٧/١٥)

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٣١/٦)

(٧) المفردات في غريب القرآن (٥٠٠)

(٨) زاد المسير (١٦٠٥)، النكت والعيون للماوردي (٣٧٦/٦)، المحرر الوجيز (٦١٠/١٥)،

فأما النفاثات فقال ابن قتيبة هن السواحر ينفثن أي يتفلن إذا سحرن ورقين[١].

لكن قال الزمخشري: النفث: النفخ مع ريق[٢].

قال الرازي: أن النفث النفخ مع ريق هكذا قاله صاحب الكشاف ومنهم من قال: إنه النفخ فقط"[٣]، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها»[٤].

العقد: مادة العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها[٥]، والعقد جمع عقدة وهي ما تعقده الساحرة في الخيوط ونحوها وأصله من العزيمة ولذلك يقال لها عزيمة كما يقال لها عقدة، ومنه قيل للساحر معقد[٦].

ثانيًا: القراءات وتوجيهها:

١- (النفاثات) قراءة الجمهور: بفتح النون وتشديد الفاء وفتحها وألف بعدها بلا ألف بعد النون[٧].

قال بعض المفسرين المراد بالنفاثات هاهنا بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٨].

---

(١) زاد المسير (١٦٠٥)

(٢) الكشاف (٤٦٥/٦)

(٣) مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨)، وانظر: لباب التأويل (٣٢٥/٧).

(٤) حديث صحيح أخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (٤١٩/١)، (ح٢٠٨٥).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٨٦/٤).

(٦) المفردات في غريب القرآن (٣٤١).

(٧) البحر المحيط (٥٣٣/٨)، وانظر: النشر لابن الجزري (٤٤٦/٢).

(٨) زاد المسير (١٦٠٥).

٢- (النافاثات) في وزن (فاعلات) - بألف بعد النون وكسر الفاء مخففة بلا ألف بعدها-:

ورويت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه، والحسن وابن عمر. وقرأ عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر ورويس عن يعقوب بها[١]، وهي قراءة عاصم عن الجحدري، ورويت عن الكسائي[٢].

٣- (النفاثات) - بضم النون وتشديد الفاء وفتحها وألف بعدها بلا ألف بعد النون كالتفاحات: قرأ بها الحسن[٣].

٤- (نفاثة) - بضم النون وتخفيف الفاء- وهو ما تنفثه من فيك: انفرد بها أبو الكرم عن روح[٤].

٥- والرسم محتمل للقراءات الأربع لحذف الألفين في جميع المصاحف، والكل مأخوذ عن النفث وهو شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه فإن كان معه ريق فهو التفل[٥].

والاستعاذة من شرهن هو ما يصيب الله تعالى به من الشر عند فعلهن ذلك[٦].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٥/٦١٠)، الجامع لأحكام القرآن(٢٠/٢٣١) ، النشر لابن الجزري (٢/٤٤٦).

(٢) النشر لابن الجزري (٢/٤٤٦).

(٣) البحر المحيط (٨/٥٣٣)، وانظر: النشر لابن الجزري (٢/٤٤٦).

(٤) النشر لابن الجزري (٢/٤٤٦).

(٥) المرجع السابق.

(٦) البحر المحيط (٨/٥٣٣)، وانظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد محيسن (٣/٣٧٨).

ثالثًا: تفسير الآية بعرض أقوال السلف والمفسرين فيها:

اختلف في المراد بـ(النفاثات) إلى ثلاثة أقوال:

١- السواحر إذا رقين ونفثن في العقد: روي هذا القول عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وطاوس، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد، والضحاك[١].

٢- ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات، من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨]؛ تشبيهًا لكيدهن بالسحر والنفث في العقد، وهو قول أبي مسلم[٢].

٣- أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك[٣].

دراسة الأقوال والترجيح:

قال جمهور المفسرين ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ أي: من شر السواحر -نساء أو نفوس أو جماعات- اللاتي ينفثن في عقد الخيط، حين ترقين عليها للسحر[٤].

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٤٧٦/٣)، وجامع البيان (٧٥٠/٢٤ – ٧٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٤٧٥/١٠).

(٢) الكشاف (٤٦٦/٥) ، مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨)، وانظر: محاسن التأويل (٧١٤/٧).

(٣) الكشاف (٤٦٦/٥).

(٤) انظر: جامع البيان (٧٤٩/٢٤)، النكت والعيون للماوردي (٣٧٥/٦)، معالم التنزيل (٧٢٦/٤)، الكشاف (٤٦٥/٥)، المحرر الوجيز (٦٠٩/١٥ – ٦١٠)، زاد المسير (١٦٠٥)، مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨)، الجامع لأحكام القرآن(٢٣٠/٢٠) ، دقائق التفسير (٤٩٧/٦)، لباب التأويل (٣٢٥/٧)، التسهيل لابن جزي (٥٨٦/٢)، البحر المحيط (٥٣٣/٨)، تفسير ابن كثير (٥٣٦/٨)، بدائع التفسير (٤٠٤/٥)، محاسن التأويل (٤١٧/٧).

والعقد: جمع عقدة والسبب فيه أن الساحر إذا أخذ في قراءة الرقية أخذ خيطًا ولا يزال يعقد عليه عقدًا بعد عقد وينفث في تلك العقد؛ حتي ينعقد ما يردن من السحر(١).

وهذا النفث ضرب من السحر وهو: أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك(٢).

والنفث: هو النفخ مع ريق، وهو دون التفل، وهو مرتبة بينهما(٣).

مناقشة الأقوال الأخرى:

يقال إن الإشارة أولًا إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي كن ساحرات وهن اللواتي سحرن مع أبيهم النبي صلى الله عليه وسلم وعقدن له إحدى عشر عقدة(٤) فأنزل الله تعالى إحدى عشرة آية بعدد العقد هي المعوذتان فشفي الله النبي صلى الله عليه وسلم(٥).

فهذا يرده الحديث الصحيح وفيه أن الذي سحر الرسول صلى الله عليه وسلم هو

---

(١) مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨)، بدائع التفسير (٤٠٤/٥).

(٢) التسهيل لابن جزي (٥٨٦/٢)، والبحر المحيط (٥٣٣/٨) ونسبه لابن عطية.

(٣) بدائع التفسير (٤٠٤/٥)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٤٠٢/١٤ – ٤٠٣)، والفتح (٤٥٩/١٢).

(٤) ورد عدد العقد في رواية البيهقي في الدلائل (٢٤٨/٦) من حديث ابن عباس Λ، وسندها ضعيف؛ ضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٧٧/١٠)وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦١٨/٦ رقم ٢٧٦١) ضعيف جدًا.

(٥) المحرر الوجيز (٦٠٩/١٥ – ٦١٠)، وانظر: معالم التنزيل (٧٢٦/٤)، زاد المسير (١٦٠٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٣١/٢٠)، التسهيل لابن جزي (٥٨٦/٢)، لباب التأويل (٣٢٥/٧) وهذا قول أبي عبيدة.

لبيد بن الأعصم[1]، وفي جميع الروايات سحر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه رجل يهودي، أو باسمه، ولم يأت فيها ذكر لبنات لبيد.

وأما القول بأن المراد النساء بما يعقدن في عزائم الرجال بكيدهن، فقد استحسنه الفخر الرازي لولا أنه على خلاف قول أكثر المفسرين[2].

ورده أبو حيان بقوله: "وسبب نزول هاتين المعوذتين ينفي ما تأوله الزمخشري من قوله: ويجوز أن يراد به النساء ذات الكيادات من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨]، تشبيهًا لكيدهن بالسحر والنفث في العقد، أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم، وعرضهن محاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك"[3].

ولعل التأويل بالنساء الكيادات أو اللاتي يفتن الرجال؛ من تأويلات المعتزلة الذين أنكروا السحر وحقيقته، فأولوا اللفظ عن ظاهره، وهو قول أبي مسلم الأصفهاني (ت٣٢٢هـ) كما تقدم، وسيأتي تفصيل من قال بهذا القول.

في الاستعاذة من شر النفاثات ثلاثة أوجه[4]:

أحدها: أنه إيهام للأذى وتخيل للمرض من غير أن يكون له تأثير في الأذى والمرض، إلا استشعار ربما أحزن، أو طعام ضار ربما نفذ بحيلة خفية[5].

الثاني: أنه قد يؤذى بمرض لعارض ينفصل فيتصل بالمسحور فيؤثر فيه كتأثير العين، وكما ينفصل من فم المتثائب ما يحدث في المقابل له مثله.

الثالث: أنه قد يكون ذلك بمعونة من خدم الجن يمتحن الله بعض عباده.

---

(١) بدائع التفسير (٥/٤٠٤).

(٢) مفاتيح الغيب (٨/٥٤٤ – ٥٤٥).

(٣) البحر المحيط (٨/٥٣٣).

(٤) النكت والعيون للماوردي (٦/٣٧٦).

(٥) وهذا عند من يقول لا تأثير للسحر، وستأتي مناقشته.

أنث النفاثات لوجوه[1]:

أحدها: أن هذه الصناعة إنما تعرف بالنساء لأنهن يعقدن وينفثن وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر وإحكام الهمة والوهم فيه وذلك إنما يتأتى من النساء لقلة علمهن وشدة شهوتن فلا جرم كان هذا العمل منهن أقوى قال أبو عبيدة النفاثات هن بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيها: أن المراد من النفاثات النفوس.

ثالثها: المراد منها الجماعات وذلك لأنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد أكثر كان التأثير أشد.

وصحح القول بالنساء النفاثات ابن جزي[2] إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم.

والصواب أنه يكون من الرجال والنساء: قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: "الجواب المحقق إن النفاثات هنا هن الأرواح والأنفس النفاثات لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانه إنما يظهر منها فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث دون التذكير والله أعلم"[3].

وخص العقد مع أن السحر قد يكون في بعض أنواعه بغير عقد؛ لكثرة استعمال العقد أو لعظم الضرر بالسحر المعقود.

رابعًا: النواحي البلاغية:

عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه:

---

(١) مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨)، وانظر: الكشاف (٤٦٥/٥)، البحر المحيط (٥٣٣/٨).

(٢) التسهيل لابن جزي (٥٨٦/٢).

(٣) بدائع التفسير (٤٠٤/٥)، وانظر: دقائق التفسير (٤٩٧/٦ – ٤٩٨).

١- عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شريرة، ونكر غاسق، لأته ليس كل غاسق يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض[١].

٢- في التعبير بكلمة (النفاثات) على وزن فعالات ما يشعر بكثرة النفث بريقهن نافخات كما يعمل الراقي[٢].

خامسًا: ما تضمنته الآية من أحكام:

تعريف السحر لغة: مادة السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة:

أحدها: عضو من الأعضاء، والآخر: خدع وشبهه، والثالث: وقت من الأوقات.

فالعضو: السحر؛ وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن. ويقال: بل هي الرئة. ويقال منه للجبان: انتفخ: سحره. ويقال له: السحر والسحر والسحر.

وأما الثاني: فالسحر، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال هو الخديعة.

وأما الوقت فالسحر، والسحرة، وهو قبل الصبح. والجمع أسحار. ويقولون: أتيتك سحر؛ إذا كان ليوم بعينه. فإن أراد بكرة وسحرًا من الأسحار قال: أتينك سحرًا[٣].

قال الأزهري: "وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه". والعرب تسمي السحر سحرًا لأنه يزيل الصحة إلى المرض، البغض إلى الحب[٤].

---

(١) الكشاف (٤٦٦/٦ – ٤٧٦)، وانظر: مفاتيح الغيب (٥٤٥/٨)، التسهيل لابن جزي (٥٨٦/٢)، والبحر المحيط (٥٣٤/٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/٢٠)، وانظر: لباب التأويل (٣٢٥/٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٣٨/٣).

(٤) لسان العرب (٢٥٣/٣).

ويطلق على معان:

أحدها: ما لطف ودق مأخذه؛ ومنه سحرت الصبي خادعته واستملته.

الثاني: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده.

الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم.

الرابع: ما يذهب إليه الأغتام[1] وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل الإنسان حمارًا ولا حقيقة لذلك عند المحصلين.

الخامس: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم.

السادس: يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها.

السابع: يطلق ويراد به فعل الساحر، والآلة: تارة تكون معنى من المعاني فقط كالرقي والنفث في العقد، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور وتارة بجمع الأمرين الحسي والمعنوي وهو أبلغ[2].

والسحر في الاصطلاح: عرفه البيضاوي (ت ٦٩١هـ) -رحمه الله- بقوله: " المراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين؛ بما لا يستقل به إنسان؛ وذلك لا يتسبب إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس"[3]

وعرفه القرطبي (ت٦٦٨هـ) -رحمه الله- بقوله:" هو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به"[1].

---

(١) الغتمة: عجمة في المنطق، ورجل أغتم: لا يفصح شيئًا، وقيل للثقيل الروح: غتمي. ينظر: لسان العرب (٤٣٣/١٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن (٢٢٥)، لسان العرب (٢٥٢/٣)، فتح الباري (٢٧٢/١٠ – ٢٧٣).

(٣) في التفسير (٢١).

وعلق عليه البيضاوي بقوله: " وتسميته سحرًا على التجوز لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي سببه"(٢).

حكم السحر:

عمل السحر، وتعلمه، وتعليمه: حرام بنص القرآن والسنة والإجماع.

أ- من القرآن:

قد جاء القرآن في أكثر من موضع بتحريمه، وبطلانه، وأنه كفر؛ ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

ب- من السنة:

عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا يا رسول الله، وماهن قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٣).

ج- من الإجماع:

قال الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) -رحمه الله-: "عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وقد عده رسول الله صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات، ومنه

=

(١) في تفسيره (٤٢/٢).

(٢) في التفسير (٢١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠١٧/٣ رقم ٢٦١٥)، ومسلم في صحيحه (٦٢/١ رقم ٨٩)

ما يكون كفرًا، ومنه لا يكون كفرًا بل معصيته كبيرة فان كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر كفر، وإلا فلا. وأما تعلمه وتعليمه فحرام فان تضمن ما يقتضى الكفر كفر، وإلا فلا"[1].

هل للسحر حقيقة وتأثير:

اختلف في السحر، هل له حقيقة وتأثير في القلب والأعيان أم هو مجرد تخييل وتمويه وضرب من الشعوذة والخفة ولا حقيقة له على قولين:

١- من أنكره وقال: ليس له حقيقة ولا تأثير:

وإليه ذهب: أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص من الحنفية (ت ٣٧٠هـ) وأبو إسحاق الاستراباذي من علماء الشافعية، وابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، وهو مذهب عامة المعتزلة والقدرية[2]، وأصحاب المدرسة العقلية الحديثة[3] قالوا بأنه بجرد تخييلات لا حقيقة له.

قال أبو بكر الرازي (ت ٣٧٠هـ): "متى أطلق فهو اسم لكل أمر مموه باطل لا حقيقة له ولا ثبات، قال الله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦] يعنى موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى وقال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦]، فأخبر أن ما ظنوه سعياً منها لم يكن سعيًا وإنما كان تخييلًا وقد قيل إنها كانت عصيا مجوفة قد ملئت زئبقًا وكذلك الحبال كانت معمولة من أدم محشوة زئبقًا وقد حفروا قبل ذلك تحت المواضع أسرابًا وجعلوا آزاجا

(١) شرح النووي على مسلم (٣٩٨/١٤)

(٢) انظر قول ابن حزم - وهو ممن سار على نهجهم في هذا- في المحلى (٣٦/١)، وانظر: مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨)، الجامع لأحكام القرآن (٤٣/٢- ٤٥)، الكشاف (٤٦٥/٥- ٤٦٦)، فتح الباري (١٠/ ٢٧٣- ٢٧٤).

(٣) انظر: التفسير والمفسرون (٤٢٠/٢ — ٤٢٢).

وملؤها نارًا فلما طرحت عليه وحمى الزئبق حركها لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يطير فأخبر الله أن ذلك كان مموها على غير حقيقة"[1].

وعلى ذلك فإنه سبب الاستعاذة من شر النفاثات عند المعتزلة يرجع إلى وجوه عدة:

أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهن في ذلك.

الثاني: أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن.

الثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن.

الرابع: أن يستعاذ من إطعامهن الأطعمة الرديئة المورثة للجنون والموت[2].

٢- من أثبته وقال: أن له حقيقة وتأثير:

وإليه ذهب أهل السنة والجماعة، وجمهور العلماء.

قال الإمام المازري (ت٥٣٦هـ)-رحمه الله: أهل السنة وجمهور العلماء من الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقائق غيره من الأشياء الثابتة، خلافًا لمن أنكره ونفي حقيقته وأضاف ما يتفق منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها.

وقد ذكر الله -سبحانه- في كتابه العزيز، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما يشير إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق به بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له، وكيف يتعلم ما لا حقيقة له وهذا الحديث فيه - أيضًا- إثباته[3] وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه.

---

(١) الأحكام (٥١/١-٥٢)، لرد شبه المعتزلة في هذه المسألة انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٥/٢ – ٤٦)، الفتح (٢٧٤/١٠).

(٢) الكشاف (٤٦٦/٥)، التسهيل لابن جزي (٥٨٦/٢)، مفاتيح الغيب (٥٤٤/٨).

(٣) يقصد حديث سحر لبيد للرسول صلى الله عليه وسلم وسيأتي.

والذي يعرف بالعقل من هذا إن إحالة كونه من الحقائق محال، وغير مستنكر في العقل أن يكون الباري –سبحانه– يخرق العادات عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام، أو المزج بين قوى على ترتيب ما لا يعرفه إلا الساحر، ومن يشاهد بعض الأجسام منها قتالة كالسموم، ومنها مسقمة كالأدوية الحادة، ومنها مصحة كالأدوية المضادة للمرض، لم يبعد في عقله أن ينفرد الساحر بعلم

قوى قتالة، أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة"[1].

قصة سحر لبيد اليهودي للرسول صلى الله عليه وسلم والرد على المنكرين لها:

أ– نص الحديث:

عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: «يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما: لصاحبه ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب[2]. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في

(١) نقله القاضي عياض عنه في إكمال المعلم (٤١/٧)، وانظر قوله في: النووي على شرح مسلم (١٤/ ٣٩٦ – ٣٩٧) لباب التأويل للخازن (٣٢٣/٧)، وفتح الباري (٢٧٣/١٠).

(٢) مطبوب: أي مسحور؛ كنوا بالطب عن السحر تفاؤلًا بالبرء؛ انظر: النهاية لابن الأثير (٥٥٧).

أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة[1] وجف طلع نخلة ذكر[2]. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال: (يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين). قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شر». فأمر بها فدفنت"[3].

ب- عرض موجز لأقوال المنكرين للحديث والرد عليهم:

أنكر أهل البدع من المتكلمين وغيرهم هذا الحديث ومنعوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبه عقلية وأوهام ظنونية لا صحة لا:

قال أبو بكر الرازي (ت ٣٧٠هـ): " رؤساء الحشو والجهال من العامة من أسرع الناس إلى التصديق بدعاوى السحرة والمعزمين وأشدهم نكيرًا على من جحدها ويروون في ذلك أخبارًا مفتعلة متخرصة يعتقدون صحتها...، وقد أجازوا من فعل الساحر ما هو أطم من هذا وأفظع؛ وذلك أنهم زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم سُحر وأن السحر عمل فيه حتى قال فيه: أنه يتخيل لي أن أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله، وأن امرأة يهودية سحرته في جف طلعة ومشط ومشاطة حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أنها سحرته في جف طلعة وهو تحت راعوفة البئر فاستخرج وزال عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك العارض، وقد قال الله تعالى مكذبًا للكفار

---

(١) مشط ومشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط؛ انظر: النهاية لابن الأثير (٨٧١).

(٢) جف طلع ذكر: ويروى (جب) و الجب والجف: وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه؛ انظر: النهاية لابن الأثير (١٣٦، ١٥٧).

(٣) البخاري في صحيحه (٢٧١/١٠ رقم ٥٧٦٣، ٥٧٦٥)، ومسلم في صحيحه (٣٩٦/١٤ رقم ٥٦٦٧).

فيما أدعوه من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال جل من قائل:﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ﴾ [الفرقان: ٨] ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تعليًا بالحشو الطغام واستجرارًا لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها وأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة، وجائز أن تكون المرأة اليهودية بجهلها فعلت ذلك ظنا منها بأن ذلك يعمل في الأجساد وقصدت به النبي عليه السلام فأطلع الله نبيه على موضع سرها وأظهر جهلها فيما ارتكبت وظنت ليكون ذلك من دلائل نبوته لا أن ذلك ضره وخلط عليه أمره ولم يقل كل الرواة أنه اختلط عليه أمره وإنما هذا اللفظ زيد في الحديث ولا أصل له"[(١)].

إثبات الحديث والرد على من أنكره[(٢)]:

الحديث ثابت صحيح لا غبار عليه، قال ابن قيم الجوزية –رحمه الله–:" قد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين"[(٣)].

---

(١) الأحكام (٥٩/١– ٦٠)، وأيضًا أنكره أبو بكر الأصم (ت ٢٤٠ هـ)، وهو من أئمة المعتزلة؛ نقل قوله القاسمي في تفسيره (٤١٧/٧)، وأبو مسلم الأصفهاني.

(٢) فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في المسودة (٢٢٢):" الصواب أن من رد الخبر الصحيح كما كانت الصحابة ترده، لاعتقاده غلط الناقل أو كذبه، لاعتقاد الراد أن الدليل قد دل على أن الرسول لا يقول هذا، فإن هذا لا يكفر ولا يفسق، وإن لم يكن اعتقاده مطابقًا، فقد رد غير واحد من الصحابة غير واحد من الأخبار التي هي صحيحة عند أهل الحديث".

(٣) بدائع التفسير (٤٠٧/٥).

وإنكار من أنكره باطل مردود؛ قال الإمام المازري (ت ٥٣٦هـ)-رحمه الله-: "قد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث من طريق ثانية، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا إن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، ولعله يتخيل إليه جبريل وليس ثم ما يراه، أو أنه أوحى إليه وما أوحى إليه.

وهذا الذي قالوه باطل؛ وذلك أن الدليل قد قام على صدقه فيما يبلغه عن الله -سبحانه- وعلى عصمته فيه، والمعجزة شاهدة بصدقه، وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها، ولا كان رسول مفضلًا من أجلها، وهو في كثير منه عرضة لما يعترض البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له.

وقد قال بعض الناس: إنما المراد بالحديث: أنه كان يخيل إليه أنه وفى زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيل في المنام للإنسان مثل هذا المعني، ولا حقيقة له، فلا يبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم يتخيله في اليقظة وإن لم يكن حقيقة.

وقال بعض أصحابنا: بمكن أن يكون تخيل إليه الشيء أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد ما تخيله أنه صحيح، فتكون اعتقاداته كلها على السداد، فلا يبقى لاعتراض الملحدة طريق"اهـ[1].

وفصل القول القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)-رحمه الله- في عصمة الأنبياء وما يجوز عليهم، وما لا يجوز - رحمه الله- وقال: "قد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر

(١) نقله القاضي عياض عنه في إكمال المعلم (٧/٤١- ٤٢)، وانظر قوله في: شرح مسلم صحيح للنووي (١٤/٣٩٧)، لباب التأويل (٧/٣٢٣ -٣٢٤)، وفتح الباري (١٠/٢٧٨).

في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معنى قوله: يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء؛ فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعترى من أخذ واعترض، ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قوله عائشة في الرواية الأخرى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصًا من بعض أزواجه أو شاهد فعلًا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسًا ولا يجد به الملحد المعترض أنسًا"[1].

حكم الرقى:

الرقى والتعاويذ:

الرقى: جمع رقية، وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات[2]. والعوذة: هي ما يعاذ ويعتصم به الإنسان. فهي القراءة للتعوذ والاعتصام.

والرقى ثلاثة أنواع:

أحدها: ما كان يرقي به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك.

الثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز، فإن كان مأثورًا فيستحب.

---

(١) الشفا (١٨٢/٢ -١٨٣)، وانظر قوله في: شرح صحيح مسلم للنووي (٣٩٧/١٤)، ولباب التأويل (٣٢٤/٧)، وفتح الباري (٢٧٨/١٠).

(٢) النهاية لابن الأثير (٣٧٢).

الثالث: ما كان بكلام مباح مفهوم ليس فيه محذور شرعًا فلا بأس بها[1].

قال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) -رحمه الله:" قد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢- وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره[2].

٣- وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى"[3].

حكم النفث:

اختلف في جواز النفث في الرقى والتعاويذ الشرعية:

١- كره قوم التفل والنفث في الرقى، وأجازوا النفخ بلا ريق.

٢- وأجازه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

أدلة كراهة النفث أو المسح في الرقية[4]:

١- قال عكرمة: لا ينبغي للراقي أن ينفث، ولا يمسح ولا يعقد.

٢- قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون النفث في الرقي.

٣- قال بعضهم: دخلت على الضحاك وهو وجع، فقلت: ألا أعوذك يا أبا محمد؟

قال: بلى، ولكن لا تنفث، فعوذته بالمعوذتين.

---

(١) انظر: فتح الباري للحافظ (٢٤١/١٠)، وفتح المجيد (١٢٩-١٣٨).

(٢) لئلا تتضمن معنى شركيًا من دعاء غير الله، أو الاستغاثة بالجن، أو غير مفهومًا كجنس الطلاسم والشعوذة.

(٣) فتح الباري (٢٤٠/١٠)، وانظر: لباب التأويل (٣٢٤/٧).

تنبيه: وقع في فتح المجيد (١٢٩)، نسبة هذه الشروط للسيوطي. والصواب أنها للحافظ.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٣١/٢٠)، لباب التأويل (٣٢٥/٧).

٤- قال ابن جريج قلت لعطاء: القرآن ينفخ به أو ينفث؟ قال: لا شي من ذلك ولكن تقرؤه هكذا. ثم قال بعد: انفث إن شئت.

أدلة جواز النفث أو التفل في الرقية:

١- حديث عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضته الذى مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدى»(١).

٢- وفي حديث أبي سعيد الخدري في قصة اللديغ وفيه: «فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ...»(٢).

٣- وسئل محمد بن سيرين عن الرقية ينفث فيها، فقال: لا أعلم بها بأسًا(٣).

الترجيح:

١- أن أدلة المجيزين أحاديث ثابتة وصحيحة وصريحة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وفعله صلى الله عليه وسلم الحكم. بينما المانعين استندوا بأقوال التابعين.

٢- ما روي عن عكرمة من قول: "لا ينبغي للراقي أن ينفث"، فكأنه ذهب فيه إلى أن الله تعالى جعل النفث في العقد مما يستعاذ به، فلا يكون بنفسه عوذة. وليس هذا هكذا، لان النفث في العقد إذا كان مذمومًا لم يجب أن يكون النفث بلا عقد مذمومًا. ولأن النفث في العقد إنما أريد به السحر المضر بالأرواح، وهذا النفث لاستصلاح الأبدان، وجب أن لا يكون مذمومًا، ولا مكروهًا بل هو مندوب إليه. فلا يقاس ما ينفع بما يضر(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤/٤٠٣ رقم ٥٦٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢٤٣ – ٢٤٤ رقم ٥٧٣٦، ٥٧٣٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٣١)، لباب التأويل (٧/٣٢٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٣١)، وانظر: فتح الباري (١٠/٢٥٧- ٢٧٦).

قال القاضي عياض -رحمه الله-: " وفائدة ذلك - والله أعلم - التبرك بتلك الرطوبة أو الهوا والنفس المباشر للرقية والذكر الحسن والدعاء والكلام الطيب، وقد يكون على وجه التفاؤل بزوال ذلك الألم عن
المريض وانفصاله عنه، كانفصال ذلك النفث عن في الراقي"[1].

٣- قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾:

أولًا: المفردات اللغوية:

الحسد: مادة الحاء والسين والدال أصل واحد، وهو الحسد[2]، وهو تمنى زوال نعمة من مستحق لا وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها. قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] - ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥][3]

ثانيًا: القراءات وتوجيهها:

وأمال أبو عمرو " حاسد" لأجل كسرة السين، والباقون بالتفخيم؛ والتفخيم والإمالة حسنان[4].

ثالثًا: تفسير الآية بعرض أقوال السلف والمفسرين فيها:

اختلف المفسرون في المراد بـ(الحاسد) الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ بالله من شر حسده:

---

(١) إكمال المعلم (٧/٥٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٦١).

(٣) المفردات في غريب القرآن (١١٨).

(٤) إعراب القراءات السبع وعلله لابن خالويه (٢/٥٥٠)، الحجة للقراء السبعة للفارسي (٦/٤٦٦).

١- كل حاسد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شر عينه ونفسه: روي ذلك عن قتادة، وعطاء الخرساني، وطاوس، ومعمر[١].

٢- أن يستعيذ من شر اليهود الذين حسدوه: روي ذلك عن ابن زيد[٢].

٣- لبيد بن الأعصم وحده[٣].

دراسة الأقوال والترجيح:

حمل جمهور المفسرين الآية على عمومها في المراد بالحاسد بل يعم حاسد الإنس والجن[٤]، ولم يخصصه باليهود أو لبيد بن الأعصم إلا بعضهم[٥].

قال ابن جرير الطبري: "أولى القولين بالصواب في ذلك، قول من قال: أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شر كل حاسد إذا حسد، فعابه أو سحره، أو بغاه سوءًا، وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن الله عز وجل لم يخصص من قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ حاسدًا دون حاسد، بل عم أمره إياه بالاستعاذة من شر كل حاسد، فذلك على عمومه"[٦].

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٤٧٧/٣)، جامع البيان (٧٥١/٢٤).

(٢) جامع البيان (٧٥٢/٢٤).

(٣) لباب التأويل (٣٢٥/٧).

(٤) منهم: الطبري في جامع البيان (٧٥٢/٢٤)، الماوردي في النكت والعيون (٣٧٦/٦-٣٧٧)، الزمخشري في الكشاف (٤٦٦/٥)، ابن عطية في المحرر الوجيز (٦١٠/١٥)، الرازي في مفاتيح الغيب (٥٤٥/٨)، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٢٣/٢٠)، ابن تيمية في دقائق التفسير (٤٩٧/٦)، بن جزي في التسهيل (٥٨٦/٢)، أبو حيان في البحر المحيط (٥٣٣/٨ – ٥٣٤)، وابن القيم في بدائع التفسير (٤١٣/٥- ٤٢٢).

(٥) منهم: الخازن في لباب التأويل (٣٢٥/٧) ، ابن الجوزي في زاد المسير (١٦٠٥)، البغوي في معالم التنزيل (٧٢٦/٤)

(٦) جامع البيان (٧٥٢/٢٤)

وأما تخصيصه باليهود؛ فلكثرة حسدهم للرسول صلى الله عليه وسلم وقد صرح بذلك القرآن عنهم في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]، وتخصيصه بلبيد بن الأعصم وذلك لسبب نزول الآية.

وكلا القولين صحيح إلا أنه أحد أفراد العام، وبقاء اللفظ على عمومه أولى من تخصيصه بغير مخصص؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على القول الراجح[1].

تعريف الحسد:

الحسد هو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، وربما يكون مع ذلك سعي[2].

في الاستعاذة من شر الحاسد إذا حسد أوجه ثلاثة:

أحدهما: من شر نفسه وعينه؛ فإنه ربما أصاب بها فعان وضر، والمعيون المصاب بالعين، ونفسه: بالسعي الخبيث والأذية كيف قدر؛ لأنه عدو مجد ممتحن.

الثاني: أن يحمله فرط الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فإنه يتبع المساوىء ويطلب العثرات.

الثالث: ويجوز أن يراد بشر الحاسد: إثمه وسماجة حاله في وقت حسده، وإظهاره أثره[1].

---

(١) البرهان (٣٢/١)، الإتقان (٨٦/١).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٣٧٦/٦ – ٣٧٧)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/٢٠)، لباب التأويل(٣٢٥/٧) ، فتح الباري (٢٢١/١).

رابعًا: النواحي البلاغية:

قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ عموم في كل ما يستعاذ منه؛ ويدخل فيه كل ما ذكر بعده، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟

١- قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما

يغتال به. وقالوا: شر العداة المراجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر[٢].

٢- تنبيهًا على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشرور[٣].

٣- أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم، ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له[٤].

تقييد شر الحاسد (بإذا) التي تقتضي تخصيص بعض الأوقات، وكذا شر الغاسق:

قيد الغاسق والحاسد بالظرف لأنه إذا لم يدخل الليل لا يكون منسوبًا إليه، وكذا كل ما فسر به الغاسق. وكذلك الحاسد، لا يؤثر حسده إذا أظهره بأن يحتال للمحسود فيما يؤذيه. أما إذا لم يظهر الحسد، فإنما يتأذى به هو لا المحسود،

=

(١) الكشاف (٤٦٦/٦)، وانظر: مفاتيح الغيب (٥٤٥/٨)، البحر المحيط (٥٣٤/٨)، النكت والعيون للماوردي (٣٧٦/٦ – ٣٧٧)، المحرر الوجيز (٦١٠/١٥).

(٢) الكشاف (٤٦٦/٦)، وانظر: البحر المحيط (٥٣٤/٨).

(٣) مفاتيح الغيب (٥٤٥/٨).

(٤) التسهيل لابن جزي (٥٨٧/٢).

لاغتمامه بنعمة غيره[1].

عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه:

عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شريرة، ونكر حاسد، لأنه ليس كل حاسد يضر. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات (الغبطة)[2].

لم قرن بين الحسد والسحر في الاستعاذة؟

لأن كلًا منهما قصده الشر؛ فالحاسد عدو النعم وهذا الشر من نفس الحاسد وطبعها وخبثها وبغضها للمحسود، ليس هو شيئا اكتسبه من غيرها، والشيطان يقترن به ويعينه بلا استدعاء منه، ويزين له حسده ويأمره بموجبه، بينما الساحر شره بعلمه وكسبه وشركه واستعانته بالشياطين؛ فلهذا والله أعلم قرن في السورة بين شر الحاسد وشر الساحر لأن الاستعاذة من شر هذين تعم كل شر يأتي من شياطين الإنس والجن فالحسد من شياطين الإنس والجن والسحر من النوعين[3].

في تكرار قوله: ﴿ مِن شَرِّ ﴾ إطناب؛ حيث أعيدت كلمة ﴿ مِن شَرِّ ﴾ بعد حرف العطف في الآيات الثلاث بعد قوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾، مع أن حرف العطف مغن عن إعادة العامل؛ وذلك قصدًا لتأكيد الدعاء، تعرضًا للإجابة، وهذا من الابتهال فيناسبه الإطناب[4].

---

(١) البحر المحيط (٨/٥٣٣ -٥٣٤)، التسهيل لابن جزي (٢/٥٨٧)، بدائع التفسير (٥/٤٢٣)، الكشاف (٦/٤٦٦).

(٢) الكشاف (٦/٤٦٦)، وانظر: مفاتيح الغيب (٨/٥٤٥)، التسهيل لابن جزي (٢/٥٨٦)، والبحر المحيط (٨/٥٣٤).

(٣) بدائع التفسير (٥/٤١٩ – ٤٢١).

(٤) التحرير والتنوير (١٥/٦٢٧).

خامسًا: ما تضمنته الآية من أحكام:

هذه سورة دالة على أن الله سبحانه خالق كل شر، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ من جميع الشرور. فقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. وجعل خاتمة ذلك الحسد، تنبيهًا على عظمه، وكثرة ضرره. والحاسد عدو نعمة الله(١).

قال الحسن بن الفضل: "ذكر الله تعالى الشر في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخس طبع"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " ذكر سبحانه الاستعاذة من شر الخلق عمومًا ثم خص الأمر بالاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب وهو الزمان الذي يعم شره ثم خص بالذكر السحر والحسد"(٣).

درجات الحسد(٤):

الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به.

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنى استصحاب عدم النعمة لأخيه المسلم أصلًا، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله بما فيه من نقص وعيب؛ فهذا حسد على شيء مقدر. وما سبقه على شيء محقق.

الرابعة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٣٢).

(٢) المحرر الوجيز (١٥/٦١٠).

(٣) دقائق التفسير (٦/٤٩٧).

(٤) انظر: التسهيل لابن جزي (٢/٥٨٦ –٥٨٧)، بدائع التفسير (٥/٤٢٣ – ٤٢٤).

آفات الحسد[1]:

للحسد آفات ومضار تعود على الحاسد نفسه منها:

أحدها: اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام.

الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله[2].

الثالثة: تألم قلبه من كثرة همه وغمه، فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة، ولله در القائل:

وإني لأرحم حسادي لفرط ما ضمت صدورهم من الأوغار.

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوكم في نار.

الرابعة: إن الحسود لا تزال عداوته، ولا تنفع مداراته، وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم، ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد.

الخامسة: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة ألا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعًا وغمًا، ولا ينال في الآخرة إلا حزنًا واحتراقًا، ولا ينال من الله إلا بعدًا ومقتًا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/٢٠)، التسهيل لابن جزي (٥٨٧/٢).

(٢) فائدة: بعض الحكماء: "بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه: أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره، ثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة؟ ثالثها: أنه ضاد فعل الله، أي إن فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله، رابعها: أنه خذل أولياء الله أو يريد خذلانهم وزوال النحمة عنهم، خامسها: أنه أعان عدوه إبليس". انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/٢٠).

الفرق بين الحاسد والعائن[1]:

يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء.

فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه.

ويفترقان في:

١- العائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، وأما الحاسد يحصل له ذلك عند غيب المحسود وحضوره أيضا.

٢- أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين؛ فالعين قد تكون من المحب أو من الصالح، أما الحاسد فلا يصيب إلا من يحسده ويريد أذاه بنفسه أو بعينه.

٣- أن العائن سبب الإصابة بعينه الإعجاب، وهو أن الناظر يرى الشيء رؤية إعجاب به أو استعظام فتتكيف روحه بكيفية خاصة تؤثر في المعين؛ وهو الذي يسمونه بإصابة العين، أما الحاسد فسبب أذاه بالمحسود؛ لأنه يكره إنعام الله على غيره ويتألم به —سواء رغب في تلك النعمة لنفسه أم لا، وقد يصحب ذلك شده العداوة.

٤- العائن لا يؤثر في المعيون إلا بعينه، وقد يشترك في ذلك لسانه، أما الحاسد فإنه يؤذي المحسود بنفسه، وقد تشترك عينه، وقد يسعى في إيقاع الشر بالمحسود بعمله-كما تقدم بيان ذلك في وجه الاستعاذة من الحاسد-، ويقوى تأثير النفس عند المقابلة فإن العدو إذا غاب عن عدوه قد يشغل نفسه عنه فإذا عاينه قبلًا اجتمعت الهمة عليه وتوجهت النفس بكليتها إليه فيتأثر بنظره حتى إن من الناس من يسقط ومنهم من يحم ومنهم من يحمل إلى بيته وقد شاهد الناس من ذلك كثيرًا.

---

(١) بدائع التفسير (٥/٤١٦)، فتح الباري (١٠/٢٥٢).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العين حق»[1].

وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»[2].

٥- والمقصود أن العائن حاسد خاص وهو أضر من الحاسد، ولهذا والله أعلم إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم؛ فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائنًا فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العين وهذا من شمول القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته وأصل الحسد هو بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها.

الفرق بين الحسد والغبطة (الحسد المحمود)[3]:

تقدم بيان معنى الحسد والباعث عليه فهو شر مذموم، بينما الغبطة تفترق عنه في معناها، وفي الباعث عليه؛ فتفترق عنه فيما يلي:

١- الغبطة: هي تمني مثل نعمة أخيه المسلم دون تمني زوالها عنه، فالحسد شر مذموم، والغبطة خير محمودة، وهي المنافسة المرغوب فيها كما في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦]، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد إلا في اثنتين»[4] يريد لا غبطة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦٧/٥ رقم ٥٤٠٨)، ومسلم في صحيحه (١٧١٩/٤ رقم ٢١٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧١٩/٤ رقم ٢١٨٨).

(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي (٣٧٦/٦ – ٣٧٧)، المحرر الوجيز (٦١٠/١٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/٢٠)، بدائع التفسير (٤٢٤/٥)، فتح الباري (٢٢١/١) (٩٠/٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٩/١ رقم ٧٣).

فائدة: هذا إن كانت الغبطة في الطاعة؛ ومعنى الحديث: أي لا غبطة أعظم وأفضل من الغبطة في هذين الأمرين، أما إن كانت في المعصية فهي مذمومة؛ ومنه "ولا تنافسوا"، وإن كانت في الجائرات فهي مباحة. انظر: فتح الباري (٢٢١/١).

٢- أن الباعث عن الحسد إرادة الشر، أما الباعث على الغبطة كبر النفس؛ بحب خصال الخير،

والتشبه بأهلها، والدخول في جملتهم[١].

الحسد المذموم:

الحسد خلق مذموم طبعًا وشرعًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء والأرض أما في السماء فحسد إبليس لآدم وأما ي الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد[٢].

والحسد أخس الطبائع وأول معصية عصي الله لها في السماء حسد إبليس لآدم وفي الأرض حسد قابيل هابيل[٣].

قال الشاعر:

كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وعين الحاسد في الغالب واقعة نعوذ بالله من شرها[٤].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦١٠/١٥)، التسهيل لابن جزي (٥٨٧/٢)، البحر المحيط (٥٣٤/٨)، النكت والعيون للماوردي (٣٧٦/٦ – ٣٧٧).

من اللطائف: هذه السورة خمس آيات فقال بعض الحذاق وهي مراد الناس بقولهم للحاسد إذا نظر إليهم: "الخمس على عينيك" وقد غلطت العامة في هذا فيشيرون في ذلك بالأصابع لكونها خمسة.

(٢) التسهيل لابن جزي (٥٨٦/٢).

(٣) زاد المسير (١٦٠٥).

(٤) البحر المحيط (٥٣٤/٨).

الخاتمة

وفي ختام البحث:

أحمد الله الكريم رب العرش العظيم أن وفقني لإتمام هذا العمل، كما وفقني بالابتداء به، وأعانني على بلوغ تمامه فله الحمد والشكر، وفيما يلي توضيحٌ لأبرز النتائج والتوصيات:

أبرز النتائج:

١- أن سورة الفلق مدنية على الراجح.

٢- أن سورة الفلق كالفاتحة في أنه ما نزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها.

٣- أنها من أحب السور إلى الله عز وجل.

٤- أنها رقيةٌ من كل داء بإذن الله تعالى.

٥- تهدف السورة إلى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وأمته كلمات يتعوذ بها من شر كل ذي شر.

٦- أن سورة الفلق حُجَّةٌ على من قال إن القرآن من عند محمد ابتدأه.

٧- أن سورة الفلق نزلت في قصة سحر لبيد بن الأعصم للرسول صلى الله عليه وسلم.

٨- تضمنت سورة الفلق أصول الاستعاذة الثلاث: نفس الاستعاذة، والمستعاذ به، والمستعاذ منه.

٩- أن التعبير بـ(أعوذ بالله) أبلغ في الالتجاء والاعتصام من التعبير بـ(أستعيذ بالله).

١٠- أن الصحيح في المراد بالفلق في الآية، العموم فيشمل كل ما اسمه الفلق؛ وقد خصَّ عرفًا بالصبح.

١١- أن الأمر بالاستعاذة في هذه السورة مصروف إلى الاستحباب، لا الوجوب.

١٢- أن الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وحده شرك أكبر.

١٣- أن الاستعاذة بغير الله فيما يقدر عليه المخلوق جائزة بشرط أن تكون بعمل الظاهر دون تعلق القلب وانصرافه إلى اللوذ بمخلوق آخر فتكون حينئذٍ شرك أكبر.

١٤- دلت السورة على أن كل ما سوى الله عز وجل، مخلوقٌ لله تعالى؛ حتى الآفات والأسقام ونحوها، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

١٥- في السورة رد على من قال لا فائدة من الاستعاذة إن كان المستعاذ منه هو بقضاء الله وقدره.

١٦- أن وقوع كل الأحداث خيرها وشرها، ودفع شرها بالأسباب المشروعة، والسعي في كسب خيرها بالأسباب المشروعة كل ذلك من قضاء الله وقدره.

١٧- المراد بالغاسق في الآية؛ العموم كل ما من حاله الظلمة، فكان أشهر شيء يطلق عليه الليل، والشر لا يعم جميع أفراده.

١٨- المراد بالنفاثات في السورة السواحر نساءً أو رجالًا.

١٩- في السورة ردٌّ على من أنكر حقيقة السحر وتأثيره، كالمعتزلة ومن سار في دربهم كأصحاب المدرسة العقلية؛ إذ جاء فيها أمر الله بالاستعاذة من شره، ولا يستعاذ إلا من شر حقيقي لا تخيلي.

٢٠- أن الرقى جائزة إن اجتمعت فيها ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان عربي، ولا يعتقد تأثيرها بذاتها بل هي سبب والله هو النافع سبحانه وتعالى.

٢١- أن النفث في الرقى هو الأصل وعليه كان عمل الرسول، وأنَّ السحرة تشبَّهوا بمن يرقي في النفث على العقد.

٢٢- أن المراد بالحاسد في السورة؛ العموم كل حاسد دون تخصيص فئة من الناس دون غيرها، أو جنس دون الآخر.

٢٣- أن كل نفاثة في العقد شريرة، بينما ليس كلُّ حاسد شرير؛ بل إذا حسد، وليس كل ليل فيه شر وإنما إذا دخل بظلامه يستعاذ من الشر الذي فيه.

٢٤- أن الحسد هو تمني زوال نعمة الآخرين، سواء أرادها لنفسه أم لا، وقد يكون معه سعي.

٢٥- أن الغبطة مرغوبٌ إليها، أما الحسد فمذموم فاعله.

٢٦- أن الحاسد لا يصيب أذاه إلا من يحسده، أما العائن قد يصيب من غير حسد.

٢٧- أن كلًّا من السحر والحسد والعين تحصل من شياطين الإنس والجن.

وأوصي بما يلي:

١- التمسك بحبل الله القويم، وترك سبل الشيطان وحبائله المضلة.

٢- ترسيخ عقيدة توحيد الله والاستعانة به، وتفويض الأمر إليه.

٣- كتابة الأبحاث العلمية المؤصلة القائمة على أساس النظر في النصوص الشرعية متجردة عن الهوى والآراء الفاسدة.

٤- كتابة أبحاث علمية تعتني بيان الأقوال الباطلة الفاسدة أو الشاذة أو الغريبة في تفسير الآية وبيان وجه ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام غلى رسولنا محمد الأمين

كشاف المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد سكر ومصطفى قصاص، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م، دار إحياء العلوم - بيروت.

٢- أحكام القرآن: لأبي بكر أحمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد قمحاوي، ١٤١٢هـ، دار إحياء التراث-بيروت.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤- الاستيعاب في بيان الأسباب: لسليم الهلالي، ومحمد آل نصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ، دار ابن الحوزي — السعودية.

٥- الأصول الثلاثة وأدلتها والقواعد الأربع: لمحمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ)، علق عليها وصحح أجوبتها وكساها حواشي مفيدة: محمد منير الدمشقي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد الخالدي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية — بيروت.

٧- إعراب القراءات السبع وعللها: أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني، (ت٣٧٠هـ) تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة الخانجي- القاهرة.

٨- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض أبو الفضل عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) المكتبة الشاملة.

٩- الأم: لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، أشرف على تصحيحه محمد زهري النجار، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م دار المعرفة- بيروت.

١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي (ت٦٩١هـ) دار الجيل.

١١- البحر الزخار (المعروف باسم مسند البزار): لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت٢٩٢ هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) الطبعة الأولى (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م) مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

١٢- البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهيد بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، الشيخ علي معوض، د. زكريا النوتي، د. أحمد الجمل، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٣- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية: ليسري السيد، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، دار ابن الخوزي - الدمام.

١٤- البرهان في تناسب سور القرآن: لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، ١٤٢٨هـ، دار ابن الجوزي- الدمام.

١٥- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بدون سنة طبع، المكتبة العصرية - بيروت.

١٦- البيان في عد آي القرآن: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م، مركز المخطوطات والتراث- الكويت.

١٧- تأويل مشكل القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، منشورات محمد علي بيضون؛ دار الكتب العلمية-بيروت.

١٨- التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٩- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، بدون سنة طبع، دار شحنون- تونس.

٢٠- التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢١- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق: سامي سلامة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، دار طيبة - الرياض.

٢٢- التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي - القاهرة.

٢٣- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران: لمحمد الأمين بن عبد الله الشافعي، تحقيق: د. هاشم محمد علي مهدي، بدون سنة طبع، دار طوق النجاة- بيروت.

٢٤- التفسير والمفسرون: للدكتور محمد حسين الذهبي (ت١٣٩٧هـ)، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ، مكتبة وهبة - القاهرة.

٢٥- تقريب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م دار الرشيد - سوريا.

٢٦- التمهيد لشرح كتاب التوحيد: لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م دار التوحيد - الرياض.

٢٧- جامع البيان في تأويل القرآن: لأبيي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار هجر — القاهرة.

٢٨- جامع الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٦٨هـ) تحقيق: صدقي جميل وعرفات العشا، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار الفكر- بيروت.

٣٠- الحجة للقراء السبعة: أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار المأمون- بيروت.

٣١- الدر المصون في علم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد الخراط، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار القلم- دمشق.

٣٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، دار هجر- مصر.

٣٣- الدعاء للطبراني: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٤- دقائق التفسير: للإمام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القران- بيروت.

٣٥- دلائل النبوة: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، حقيقه وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور عبد المعطى قلعجى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الكتب العلمية. ودار الريان للتراث.

٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود الألوسي، (ت ١٢٧٠هـ) تحقيق: الشيخ محمد أحمد الأمد والشيخ عمر عبد السلام السلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م دار إحياء التراث- بيروت.

٣٧- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الخوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ) الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٢م، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم- بيروت.

٣٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢١هـ)، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مكتبة المعارف- الرياض.

٣٩- سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت.

٤٠- شرح مشكل الآثار: لأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)، ١٣٣٣هـ، مجلس دائرة المعارف-الهند.

٤١- شرح معاني الآثار: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي. تحقيق: محمد زهري النجار. الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية -بيروت.

٤٢- صحيح ابن خزيمة: لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، المكتب الإسلامي- بيروت.

٤٣- صحيح البخاري: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، بشرح حافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) طبعة جديدة منقحة ومصححة عن الطبعة التي حقق أصلها ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز-رحمه الله، محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٤- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٤٥- صحيح سنن ابن ماجه: للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢١هـ).الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتب التربية.

٤٦- صحيح سنن أبي داود: للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢١هـ). الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتب التربية.

٤٧- صحيح سنن الترمذي: للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢١هـ). الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ. مكتب التربية.

٤٨- صحيح مسلم: للإمام مسلم ابن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، بشرح الإمام محي الدين النووي، (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة الثامنة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار المعرفة- بيروت.

٤٩- غاية النهاية في طبقات القراء: لشمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عني بنشره: ج برجستراسر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية - بيروت

٥١- غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رت٢٧٦هـ تحقيق: أحمد صقر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م دار الكتب العلمية.

٥٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، طبعة جديدة منقحة ومصححة عن الطبعة التي حقق أصلها ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز-رحمه الله، محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) تحقيق: فريال علوان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، مكتبة الرشد الرياض.

٥٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت١٢٨٥هـ)، الطبعة السابعة، ١٣٩٩هـ، دار الفكر- بيروت.

٥٥- فضائل القرآن للقاسم بن سلام: أبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت٢٢٤هـ) تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، ١٤٢٠هـ، دار ابن كثير- دمشق، بيروت.

٥٦- فضائل القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي (ت ٢٩٤هـ) - المكتبة الشاملة.

٥٧- القصيدة التائية: لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية(ت٧٢٨هـ)، بشرح الدرة البهية للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، اعتنى بما: محمد بن سليمان آل بسام، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي-الدمام.

٥٨- قواعد الترجيح عند المفسرين: للدكتور حسين الحربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار القاسم - الرياض.

٥٩- القول المفيد على كتاب التوحيد: للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢٠هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي- الدمام.

٦٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م مكتبة العبيكان - الرياض.

٦١- لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٤١هـ)، وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين البغوي (ت٥١٦هـ)، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار الفكر-بيروت.

٦٢- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى ١٩٩٧هـ، دار صادر- بيروت.

٦٣- لسان الميزان: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)؛ الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

٦٤- متن السلم المنورق: للعلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري، (ت ٩٨٣هـ)، تصحيح: بلال النجار- المكتبة الشاملة.

٦٥- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٠هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي- القاهرة.

٦٦- المجتبى من السنن: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

٦٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت - ١٤٠٧هـ.

٦٨- المجموع شرح المهذب: محيي الدين بن شرف النووي، (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد- جدة.

٦٩- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية.

٧٠- محاسن التأويل: لجمال الدين القاسمي (ت١٣٢٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، مؤسسة التاريخ العربي-بيروت.

٧١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) تحقيق: عبد الله الأنصاري وعبد العال إبراهيم، الطبعة الثانية، بدون سنة طبع، دار الفكر العربي- القاهرة.

٧٢- المحلى: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، (ت٤٥٦هـ)، دار الفكر - بيروت.

٧٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ).

٧٤- المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.

٧٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٧٦- المسند: لعبدالله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب- بيروت.

٧٧- مسند عبد بن حميد: لأبي محمد عبد بن حميد نصر الكسي، (ت٢٤٩هـ) – المكتبة الشاملة.

٧٨- المسودة في أصول الفقه: لآل ابن تيمية، مطبعة المدني – القاهرة.

٧٩- المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد- الرياض.

٨٠- معالم التنزيل في التفسير والتأويل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار طيبة — الرياض.

٨١- المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، ١٤٤٠هـ- ١٩٨٣م، مكتبة الزهراء -الموصل.

٨٢- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٨٣- المغني في توجيه القراءات العشر: محمد سالم محيسن، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الجيل- بيروت.

٨٤- مفاتيح الغيب: لفخر الدبن الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، دار الفكر بيروت.

٨٥- المفردات في غريب القرآن: للحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ١٤١٢هـ، دار العلم الدار الشامية- دمشق، بيروت.

٨٦- المكي والمدني: محمد شفاعت رباني- المكتبة الشاملة.

٨٧- المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج: للإمام محي الدين النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة الثامنة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م دار المعرفة- بيروت.

٨٨- المنهاج في شعب الإيمان: لحسين حسن الحليمي (ت٤٠٣هـ) ، تحقيق: حلمي فودة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الفكر- بيروت.

٨٩- الناسخ والمنسوخ للزهري ويليه تنزيل القرآن بمكة والمدينة: لابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) ، رواية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن (كلية الآداب- جامعة بغداد)، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية.

٩٠- الناسخ والمنسوخ للمقري: هبة الله بن سلامة بن نصر المقري (ت٤١٠هـ) تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٩١- الناسخ والمنسوخ: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة الفلاح — الكويت.

٩٢- الناسخ والمنسوخ: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ) تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٣- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري (ت٨٣٣هـ) أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية.

٩٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٥٥هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٥- النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية — بيروت.

٩٦- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، أشرف عليه، وقم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي- الدمام.